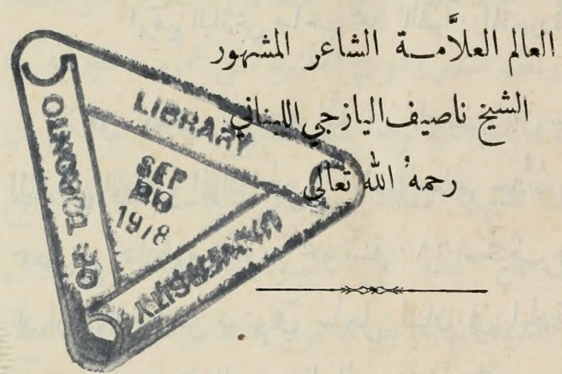


ديوان

العالم العلاَّمــة الشاعر المشهور

الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني

رحمهُ الله تعالى



النبذة الاولى

طُبعت بنفقة الفقير اليهِ تعالى ميخائيل ابرهيم رحمة

مصححةً بقلم العلاَّمة الفاضل الشيخ ابرهيم اليازجي

المطبعة الشرقية · الحدث «لبنان» سنة ١٩٠٤

ترجمة المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي
طيَّب الله ثراهُ

بقلم حضرة سبطهِ الاديب امين افندي الحدّاد احد منشئي جريدة البصير بالاسكندرية كتبها بمؤازرة حضرة خالهِ العلاَّمة الفاضل الشيخ ابرهيم اليازجي صاحب مجلة الضياء المشهورة قال—

هو ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط بن سعد اليازجي اللبنانيّ المولد الحمصيّ الاصل هاجر جدُّهُ سعد المذكور من حمص مع جماعةٍ من ذويهِ نحو سنة ١٦٩٠ لحيفٍ وقع عليهم في تلك الديار فتوطن اناسٌ منهم في ساحل لبنان في الجهة المعروفة بالغرب وآخرون في وادي التيم من اعمال دمشق وتفرق بعضهم في مواضع اخرى ولا تزال بقية اسرتهم في حمص ونواحيها وهم عشيرة كبيرة من ذوي الوجاهة واليسار

وكان مولدهُ رحمهُ الله في قرية كفرشيما من قُرَى الساحل المذكور في ٢٥ اذار سنة ١٨٠٠ وتلقى مبادئ القراءَة على راهبٍ من بيت شباب يُقال لهُ القسّ متَّى . وكان والدهُ من الاطباءِ المشهورين في وقتهِ على مذهب ابن سيناءَ وكان مع ذلك اديباً شاعراً الا انهُ كان قلَّما يتعاطى النظم لقلة الدواعي اليهِ اذ ذاك ومن شعرهِ ابياتٌ قرَّظ بها ديوان الخوري حنانيا المنيّر احد شعراءِ ذلك العصر لم يُحفَظ

منها الا بيتان رواهما سيدي الخال وهما قوله ُ

عش بالهنا والخير والرضوانِ   يا من عنيتَ بنظم ذا الديوانِ
اني لقد طالعته ُ فوجدته ُ   نظماً فريداً ما له ُ من ثانِ

فنشأ ولده ُ على الميل الى الادب والشعر واقبـل على الدرس والمطالعة بنفسهِ وتصفح ما تصل اليهِ يده ُ من كتب النحو واللغة ودواوين الشعرآء ونظم الشعر وهو في العاشرة من عمرهِ · غير انه ُ لما لم تكن الكتب لذلك العهد ميسورةً لقلة المطبوع منها اذ لم يكن في البلاد السورية ولا المصرية الا مطابع نادرة قلما كانت تشتغل بطبع الكتب العلمية كان جلُّ معتمدهِ على كتبٍ يستعيرها من بعض الاديار والمكاتب القديمة فمنها ما يقرأها مرةً فيحفظ زبدتها ومنها مـا ينسخها بخطهِ ولا يزال كثيرٌ من تلك الكتب باقياً الى اليوم محفوظاً عند اسرتهِ وهي جميلة الخط على القاعدة الفارسية وبعضها يبلغ عدة مئات من الصفحات

وقد بلغ من كل علمٍ لُبابه ُ ودرس اشهر مصنفاتهِ وله في جميعها تآليف مشهورة بين مختصرٍ ومطوَّل هي اليوم عمدة التدريس في اكثر المدارس السورية وبعض المدارس المصرية لما هي عليه من الوضوح وحسن الترتيب اشهرها في الصرف والنحو فصل الخطاب وهو من افضل المتون في هذين العلمين وعليهِ شرح بقلمهِ ثم الخزانة وجوف الفرا وهما ارجوزتان مطوَّلتان مشروحتان بقلمهِ ايضاً وفي

البيان كتاب عقد الجمان وهو مثل فصل الخطاب في النحو والطراز المُعلَم وهو ارجوزة مختصرة مشروحة بقلمهِ ايضاً وفي العروض والقافية نقطة الدائرة الحقها بكتاب عقد الجمان والجامعة وهي ارجوزة مطوَّلة مشروحة بقلم ولدهِ المرحوم الشيخ حبيب · وله عدا ذلك عدة رسائل في الصرف والنحو بعضها اخصر من بعض ورسالة في المنطق وارجوزة مختصرة في الطب القديم سماها بالحجر الكريم وهذه لم تُطبَع · وكان قد شرع في وضع شرحٍ لديوان المتنبي لم يستوفهِ وكان يعلّق عليهِ الحين بعد الحين ما يعنّ له من تفسير بعض الابيات الغامضة فاتمَّهُ بعدهُ سيدي الخال المشار اليهِ وسمَّاهُ العَرْف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيّب واضاف اليه ما يُروَى للمتنبي من الشعر الذي لم يثبتهُ في ديوانهِ وذيَّلهُ بنقدٍ مطوَّل على شعر المتنبي وكلام شرَّاحهِ · واشهر تآليفهِ واعظمها مقاماتهُ المعروفة بمجمع البحرين وهي ستون مقامة ضمَّنها من بلاغة الانشآء والفوائد اللغوية والعلمية وتواريخ العرب وامثالها ما دلّ على غزارة محفوظهِ وقوة عارضتهِ في النظم والنثر واودعها من الفنون البديعية في بعض منظوماتهِ كجناس ما لا يستحيل بالانعكاس والجناسات الخطّية وغيرها ما لا يُضطلَع به الا عن مقدرةٍ فائقة

ولهُ ثلاثة دواوين شعرية تُعَدّ من عيون الشعر كثيرٌ منها محفوظ على الالسنة ولا سيما الابيات الحكمية منها وهي في شعرهِ اكثر من ان تُحصَى · وذلك خلا ما نظمهُ في عهد الصبا مما لم يثبتهُ في

دواوينهِ المطبوعة وهو شيءٌ كثير لو جُمع باسرهِ لزاد على المشهور منهُ وانا ذاكرٌ بعضهُ في هذا الموضع بياناً لما كان عليهِ في اوائل عهدهِ بالنظم فمن ذلك قولهُ يتغزل

من غُنج عينيكِ ام من لطف معناكِ
ايدي الهوى اوقعت قلبي بأَشراكِ
يا ظبيةً في النقا ترعى الخزامَ بهِ
لم تعلمي أنَّ عين الصبّ ترعاكِ
روحي فداكِ لقد اضنى هواكِ فتًى
ما كان يدري الهوى والله لولاكِ
وردٌ بخدَّيكِ ام هذا خضاب دمي
فقد اراقت دمي بالسحر عيناكِ
هل تعلمين بشوقٍ في ضمائرنا
لا تنطفي نارهُ الاَّ بمرآكِ
هانت علينا المنايا في هواكِ وما
احلى عذاب الهوى ان كان ارضاكِ
لولاكِ ما عرفت اجفاننا سهراً
فما عرفنا الهوى حتى عرفناكِ
اني لقد غرت من ذكرٍ عليكِ جرى
ومن لحاظ رسولي حين يلقاكِ

فقلت يا ليتني كنت الرسولَ ويا
ليت الرسولَ انا والكل مضناكِ
يا نسمةً في الحمى مرّت بها سحراً
طوباكِ يا ليتني اياكِ طوباكِ
هل تحملين اليها من صبابتنا
كما حملتِ الينا عند مسراكِ
حكيتِ رقة عِطفيها ونفحتها
ولا نسلّمُ أنَّ الفضل للحاكي

وقولهُ

اتظنُّ هذا الخال فوق المبسمِ الا عُبَيدًا حارساً دُرَّ الفمِ
وتظنُّ هذا الدُرَّ دُرًّا حولهُ ماءٌ كماءِ البحر مثل العلقمِ
لا والذي خلق المياه فما بهِ الا رُضابٌ كوثريُّ المَطعَمِ
وأُجِلُّهُ عن ان اقول بانهُ شهدٌ جنتهُ النحل لا يُروِي الظمي
نَقَلَ الروايةَ طيبُ منطقهِ وما ذُقنا وكان الوردُ ابرد مغنمِ
أَلوَى عليَّ فضمَّني وضممتُهُ وصدورنا بصدورنا لم تعلمِ
أَهوِي عليهِ وفيَّ عفة يوسفٍ حتى يميلَ وفيهِ عفة مريمِ
فيروح بين صبابتي وحنينهِ واروح بين حديثهِ وتبسمي
خضنا ملياًّ في الحديث كما جرى وكانّنا للشوق لم نتكلمِ
حتى رجعتُ كما رجعتُ واخمصي متأَخرٌ في نيَّة المتقدمِ

يا ليلةً سمح الزمان ببعضها بعض السماح وليتهُ لم يندمِ
قد كنت ارجو مثلها .فبلغتهُ والحادثات تقول طَرْفكَ فاسلمِ
حتى دخلتُ الدار ساعة غفلةٍ وعرفتُ ربع الدار بعد توهمِ
فكأنَّ كل الدهر مدة لحظةٍ وكأَن كل الارض دارة درهمِ
ولقد جلستُ الى الفتاة مسامرًا ووشاتنا من غافلين ونُوَّمِ
ولطالما جلست الينا قبلها طيفاً وكان الطيف غير مسلّمِ
حوراء تضرب بالسيوف جفونها ولحاظها ترمي القلوب باسهمِ
قطرت دماً من فوق وجنتها فما كذبت علينا انهُ لون الدمِ
غاصت بلجَّة نومها وتنبهت والسِحر في العينين غير مهوّمِ
فكأَنَّ بحر النوم بحرٌ احمرٌ حتى اتت وخدودها كالعندمِ
عينُ الغزالة عينها وجبينها لا ذاتها من رقةٍ وتبسمِ
ولطالما نفر الغزال وما درت كيف النفار وعِرضها لم يُكلَمِ
عاتبتها فاستضحكت وعتابها جهلٌ وكيف عتاب من لم يأثمِ
ما كنت اختار العتاب وانما قد كان ذلك حيلة المتكلمِ
حتى رنت وكأنّ هُدب جفونها وسواد قلبي قطعةٌ لم تُقسمِ
بالله يا ريح الصبا قبل الضحى ان جئتِ هاتيك الديار فسلّمي
قسماً بها الا وقعتِ بصدرها بين النهود ولا اقول لكِ الثمي
وغمزتِ معطفها وقلتِ لهُ ترى كم فيك غمزة حسرةٍ من مغرمِ
هيهات اسلوها وقد ختمت على قلبي بخاتم ثغرها المتبسمِ

لو لم يكن للشوق من سببٍ كفى ذاك الوداع ومدّ ذاك المعصمِ
ان كان قتل النفس غير محلّل قولوا لها فالوصل غير محرَّمِ

ومن ذلك قوله يمدح الامير بشيرًا الشهابيّ بعد الحروب التي حدثت سنة ١٢٤٠

يهنيك يهنيك هذا النصر والظفرُ فأُنعم اذن انت بل فلتنعم البشرُ
ولم يَغِبْ عنك تأييدٌ خُلِقتَ لهُ لكنهُ البحر بين المدّ ينجزرُ
مادت لهيبتك الدنيا فلو رُفِعت اطواد حلمك منها دكّها الخطرُ
واستهول الدهر بأسًا كان يعرفهُ من قبلُ منك ولكن فاته القدرُ
اريتَهُ الناسَ في الدنيا وساحتها فكرًا تمرُّ بهِ الاشباح والصورُ
كلّ البلاد اذا لم تستقرّ بها رسوم دارٍ عفتها الريح والمطرُ
آلت عليك المعالي لا تفارقها قبل القضا وعلى وجه الفضا نفرُ
وأقسم السعد لا يلقاك راجلهُ الا وفي رأسهِ من مشيهِ اثرُ
وما أخذتَ بسيف الدهر مغتنماً لكنّ ربك في هذا لهُ وطرُ
متى اتّقى المرء مولاهُ على حذرٍ لا بأس ان فاتهُ من غيرهِ الحذرُ
وما اعتصمتَ بحبل الله مكتفياً الا وعندك في اسرارهِ نظرُ
لا صنتَ وجهك عن وقع الحراب فقد علّمتها تحت ذيل الريح تنكسرُ
عليك دِرعٌ من الديباج واقيةٌ وكفُّك السيف لا تُبقي ولا تذرُ
متى رأيتُكَ بعد الناس مختبرًا علمتُ انك خُبرٌ والورَى خبَرُ
تبارك الله من انشاك في جسدٍ خلّى التراب على الياقوت يفتخرُ

لله عزّة بيت الدين فيك فقد ... امسى على فَلَكِ الشِعرَى له خطرُ
غارت نجوم الثريّا من جلامده ... وظلّ يحسدُ هادي ليله السحرُ
هو المقام مقام الحقّ هيبته ... مبنيّةٌ حيث لم يُعرَف لهُ حجرُ
يستكبر القومُ من تيهٍ بانفسهم ... حتى اذا قابلوا ابوابهُ صغُروا
كذا والا فلالا من اراد عُلىً ... لا يُحمَد الوِرد حتى يُحمَد الصَدَرُ
بلغتَها واتقيت الله فهيَ اذن ... كالعين يُجمَع فيها النوم والسهرُ
يدعو بك الشعرَ منشيهِ فيُبلِغهُ ... ما دونهُ في سوالك العِيُّ والحَصَرُ
عيبٌ عليَّ اذا انشدتُ قافيةً ... في شعرهم وبشعري غيرُ ما ذكروا
لا يحسن الشعر الا فيك مبتكرًا ... فانت بين عباد الله مُبتكَرُ

وله يصف احوال الدهر وبنيهِ

أَمِنْ لُغَةِ الايام ما لا يُترجَمُ ... ام المرء فيها جاهلٌ ليس يعلمُ
مشاكلُ اعيا حلها كلَّ طالبٍ ... فكلٌّ فصيحٍ عند ذلك اعجمُ
محجبةٌ تحت الرموز بيانُهـا ... انا فتنة الالباب والله اعلمُ
لعمرك ما الايام الا مفازةٌ ... يضلُّ بها الخِرّيتُ والصبح يبسمُ
نريد بها نجدًا فنأتي تِهامةً ... وآخرُ يأتي نجد من حيث يتهِمُ
اذا اقبلت عيناك تعجم عودها ... فاغربُ وجهٍ عنك ما تتوسمُ
لقد طعنت في سنها فاظنها ... على خرفٍ قبل التصوُّر تحكمُ
وأَغربُ منها الناقدون فطالما ... تأخَّر دينارٌ واقبلَ درهمُ
الا ليت شعري هل نصادف كاشفًا ... فنعلمَ ايٌّ الصاحبين يقدَّمُ

يعزّ على عينيَّ رؤية ناقصٍ تفاضلَ مجهولاً فراح يعظَّمُ
على ان هضم الحق اهون محملاً على الحق من اخفائهِ حين يكتمُ
غشاءٌ على عين الهدى من ضلالةٍ وسترٌ على وجه الضلال مخيمُ
بنفسي من الدنيا هوًى غير انني كرهت البقا فيها وفيها جهنمُ
تداولتُ حاليها فهانا كلاهما فلست ابالي ما يصحُّ ويسقمُ
عفت اثرَ الحلم الليالي فلم تدع سوى الجهل في ابنائهِ يتقسمُ
حَذارِ انتحال العلم والزهد بينهم فذانك عيبٌ عندهم يتجسمُ
وكن جامعاً مالاً ولو لم تَجُدْ بهِ وكن كيفما تهوى فانت المقدَّمُ
قد استخدم الاموالَ للناس ربهم وهم يحسبون الناس للمال تخدمُ
وانشأهم طيناً فلانوا عريكةً الى زمنٍ فاستحجروا وتصمموا
وقد سقطت عين الجواهر عندهم فما زالت الاعراض تبني وتهدمُ
ويا ربما عِيبَ امرؤٌ بنقائصٍ اذا هو أَثرَى فهي فضلٌ مسلَّمُ
فلو قام فيهم وهو صاحب نعمةٍ ابو لهبٍ صلَّوا عليهِ وسلموا
ولولا ائتلاف النطق عند حديثهم بوجهك يا دينار آلَوْا واقسموا
يسرُّك منهم واحدٌ فتعدُّهُ وتحسب منهم من اساءَ فتسأمُ
واكثرما يرجو الصديق صديقهُ غداة الرزايا أَنهُ منهُ يسلمُ
نَكِرتُ عليهم صحبةً ويل امّها يشطُّ بها قلبٌ ويدنو بها فمُ
واحجمت مقصوراً على عهد أُسرتي فوفَّت ولكن خاننا اللحم والدمُ
وليس اخي من كان أُمّيَ أُمَّهُ ولكنهُ من في مصابيَ يقدمُ

وليس ابنَ عمي من اتى من عشيرتي ولكنهُ من استغيث فيرحمُ
عرفت بني الدنيا واحوالها فلم اكن اجهل الدنيا ولم اكُ اعلمُ
يذوب فؤاد الليث من جوعهِ بها ويغشى على كلب الحمى وهو ينهمُ
وكم فاتنا ما قد طلبنا بحزمنا وادركهُ بالخُرق من ليس يحزُمُ
يحدّدُ بعضٌ طرفهُ ولسانهُ وهمتهُ هيهات والرزق اسهمُ
واتعبُ خلق الله طالب حاجةٍ فلا ينثني عنها ولا هي تُغنمُ
ومن عجب الدنيا تجود ولا رضى بذاك ويؤتى ذمُّها وهي تُنعِمُ
يعيش الفتى فيها ثمانين حجةً خميصاً ويرجو انها سوف تُطعِمُ
ويعلم ان الموت حبك نطاقهِ ويجهد فيها لاهياً يتبسمُ
فلا خير في دنياك وهي بسيطةٌ يقلّبها فوق الانامل درهمُ
ولا خير في هذي الحياة وكلها همومٌ فان الموت اهنا وانعمُ
يكلفني هذا الزمان ركوبهُ وكيف جَموحٌ يُمتطى ليس يُلجمُ
وهل بعدُ لي في صهوة الدهر مركبٌ وقبليَ بعض الركب للبعض يزحمُ
تأَخرتُ حتى اعجف الدهرَ شيبهُ فلم يبقَ لي الا جلودٌ واعظمُ
وقصَّر من عجزٍ فكل مذبذبٍ قصير الخُطَى في سلكهِ يتنظمُ
يهيّجني فعل الليالي باهلها فيا ويح نفسي كيف لا تتأَلمُ
ارى كل رعديدٍ يجرُّ قناتهُ فنيٌّ لها لا في اعاديهِ لهذمُ
ابت ان ترى نفسي الخضوع لناقصٍ ولو انها في جنب ذلك تُعدَمُ
واَنَفُ من ردّ السلام لشامخٍ والقى وضيعاً تارةً فاسلمُ

يقلّ ابتسامي للحبيب والتقي عدوّي ببشرٍ فيَّ حبّه يوهمُ
ويا طالما خاطبتهُ ببشاشةٍ وفي القلب اشياءٌ تهيج فتضرمُ
ولست بثرثار اللسان جموحهِ يعزُّ عليهِ فعلهُ فيهذرمُ
اذا انا لم افعل سكتُّ شهامةً وافعلُ احيانًا ولا اتكلمُ
واني لذو صبرٍ على الضرّ كلما تمادى ويحلو الصبر لي وهو علقمُ
فاصبر حتى يضجر الصبر شاكيًا ثباتي ولا اشكو ولا انظلمُ
واني اذا قيل الكلام لقائلٌ وتسبق اقلامي يدي حين ترقمُ
واركب من نظم القريض جموحهُ فلانَ وجلّى سابقًا حين انظمُ
وما وطري في الشعر الا تعلةٌ فقد صار زيغًا في الورى لا يقوَّمُ
يردّ عن الابصار صفحة وجههِ مخافة ان تلقاهُ كفٌّ فيُلطَمُ
ويُعرِض عن قومٍ فيقتنصونهُ فيبكي ومبكيهِ الذي يترنمُ
وما راعني الا تمدُّح بعضهم الم يخبروهُ انهُ يتذمَّمُ
وما اكثر الاقوال بين الورى وما اقلّ انطباق القول والفعل منهمُ
ولو كان قول المرء يكفيهِ لم تجد حقيرًا فكلٌّ باللسان عرمرمُ
ابٌ واحدٌ للناس لكن وجوههم ضروبٌ وفي شمل الطباع تقسُّمُ
تحبُّ امورًا بعضهم فتلذُّهُ ونُكرَه عند الآخرين فتؤلمُ
وما كلُّ مكروهٍ لديهم بمُنكَرٍ ولا كلُّ محبوبٍ اليهم مسلَّمُ
ولكن خلاف الوضع في الطبع بينهم خلافٌ بهِ وجه المذاق ملثَّمُ
فبعضٌ باخلاق الرجال مولَّعٌ وبعضٌ باخلاق النساء متيَّمُ

و يا ربما عاف الفتى الورد طاعناً   عليهِ وامسى وهو بالورس مغرمُ
ويا رُبَّ ملاقٍ من الخبث ناعمٍ   يلين لهُ جنبٌ كما لان ارقمُ
متى رقَّ اخلاقاً لديك ومنطقاً   فللسيف جرحٌ كلما رقَّ اعظمُ
يغرُّك بعض الناس عند لقائهِ   فتجهل ان السِمن فيهِ تورُّمُ
وما كلَّ وقتٍ تصدق العينُ ربَّها   فاكثر ما تحكي العيون توسُّمُ
وكم مرةٍ سُرَّ الفتى بظنونهِ   فلما تجلت سِيءَ والظن يرجمُ
يعفُّون عن نكرٍ وما هو يوسفٌ   اذا فرصةٌ عنَّت ولا هي مريمُ
اذا دخلت تحت الحجاب وصيفةٌ   فما لم يكن تحت الحجاب محرَّمُ
اليك أُبنَ أُمّي عن وفائك بينهم   وكن انت معوجاً فانت المقوَّمُ
اذا شئت تجري فالخلاعة مسلكٌ   وان شئت ترقى فالدراهم سلَّمُ

ولهُ ايضاً في الامير بشير الشهابي يعرّض باغراض

كن امينا من شرّ كيد الحسودِ   اذ حباك الاله بالتأييدِ
كيف ترقى الى النجوم سهامٌ   او ينال الهلالَ ضربُ عمودِ
انت في عصمةٍ بربك منصو   رٌ ولو خاصمتك كلُّ العبيدِ
قمتَ فرداً فلم ينل منك شيئاً   كثرة الجيش وازدحام البنودِ
لو حصبتَ الكميَّ منك بدينا   رٍ لمات الكميُّ تحت الحديدِ
او مضت انجم الدجى هارباتٍ   منك عادت اليك تحت القيودِ
فجميع العبيد ادنى الى حبل م   ذراعيك من حُبيل الوريدِ
قد اصبتَ البغاة عدلاً فقالوا   هكذا كان حال قوم ثمودِ

واخذت المنافقين بعهدٍ مثل ماء الرشاش عند اليهودِ
خضتهم بالقنا فكلُّ قناةٍ حملوها كغصن وادي زَرُودِ
وكأَنَّ السيوف كانت لهم آ لهةً فانثنوا لها بالسجودِ
قلم الحول قد جرى بفناهم فاتت نونهنَّ للتوكيدِ
فمضوا جُفَّلاً ولو في سوى الدنيا م لكانت لهم نجاة الطريدِ
خلق الله همةً لك مما اذ خر الدهر في خبايا الوجودِ
لم اصدّق ما قيل عنك الى ان حضرتني عيني بالف شهيدِ
أَتُهَنَّا بالعيد ياليت شعري ام يُهَنَّا بوجهك المسعودِ
هو عيدٌ لديك لكنَّ عندي كل يومٍ اراك اكبر عيدِ
واليك ابنة القريحة تجلو في اسرّ الاعياد احلى النشيدِ
ان شدت او ترنمت اطربتنا كالمزامير في يدي داودِ
صُغتُها ذات ليلةٍ لو توارى ال بدر فيها اغنت بضوء العقودِ
ليس فوقي ابو نُوَاسٍ اذا انشد تُ شعراً وانت فوق الرشيدِ
ان نعماك اجسرتنيَ حتى قلت ليت الكناس غابُ اسودِ
وعلمت الزمان فانٍ وأَنَّ ال ذكر باقٍ فملت نحو الخلودِ
حسدتني عليك ابناء قومي هل سعيدٌ يبقى بغير حسودِ
كلما قُصَّ لي قُلامةُ ظفرٍ جعلوها تميمةً لوليدِ
نسبٌ لي على مكاثرة السا دات أنّي لديك بعض العبيدِ
وكذا السيف دون افرندهِ العسجدُ والسيف ليس غير حديدِ

وقال يمدح مصطفى آغا بربر متسلم طرابلس

خطرت كما خطر القضيب الاملدُ   هيفاء معطفها يقوم ويقعدُ
ممشوقةٌ تضع البنان بخصرها   فيكاد بعضٌ فوق بعضٍ يُعقَدُ
هي من ظبا الوادي ولكن لي بها   لُمَحٌ من الفردوس قامت تشهدُ
ما ضرَّها وهي المراض جفونها   لو اننا يا صاحبيَّ العُوَّدُ
ما بين وجنتها ودمعي نسبةٌ   فكلاهما من حمرةٍ يتوردُ
وكأَنَّ ليلي شعرها فكلاهما   متطاول الاطراف اسود اجعدُ
ولقد صبوتُ فقال انك اشيبٌ   رأسي وقال القلب انك امردُ
والنفس ناصحةٌ ولكن عندها   رفقٌ اذا اعتذر الفتى لا يُحمَدُ
ولهوتُ عن ادبي القديم وكيف لا   وصبابتي في طيهِ تتجدَّدُ
ونسيتُ نظم الشعر لولا شيمةٌ   في المصطفى تدعو الحَصُور فينشدُ
ريَّان تفتخر المكارم عندهُ   كبراً ويصغر في يديهِ العسجدُ
متقلدٌ بيض النصال وانما   بيض النصال بكفهِ تتقلدُ

ومنها

لله دَرُّك ما اجلَّك سيدًا   وأَسدَّ رأيك والطريق مسدَّدُ
واشدَّ بأسك في الخطوب فكلما   صَعُبَت رأيت كانها تتمهدُ
تغدو اليك الحادثات فتنثني   شِيباً ولكن وجهها بك اسودُ
انا اشعر الشعراء فيك ولا تقل   هذا الغلام بجهلهِ يتمردُ
لو لم اكن في الشعر اكبر غائصٍ   ما خضت بحر ثناك وهو المزبدُ

واذا نظرتَ الى الحقائق فالورى | رجلٌ وكل الشعر بيتٌ مفردُ
من كان مثلك لا تُطالَب امهُ | لو انها حوَّآء في من يولدُ
فيك الصيانة والزهادة والتقى | واللطف والكرم الذي لا يُجحدُ
والحلم ثم العلم ثم الفهم ثم | العزم ثم الحزم ثم السؤددُ
يا فضل بل يا عدل بل يا وبل بل | يا نصل بل يا شبل بل يا سيّدُ
لم تجتمع فيك المحاسن انمــا | انت المحاسن وهي فيك تعدَّدُ
ما شمتُ قبلك من يغار لمالهِ ال | باقي من المال الذي يتبددُ
يرضيك دونُ الريّ وا عجبا ولا | ترضى الفرات لسائلٍ يتوردُ
وكأنَّ نفسك في الكريهة غيرها | في السلم وهي لطيفةٌ تودُدُ
لو اخمد الحزنَ التأسّي ما بكى | ممن قتلتَ ابٌ على ابنٍ يُفقَدُ
او كان يحيي الجودُ نفساً لم يمت | من كان في ميمون عصرك يوجدُ
يتلو عليك الحمدَ في صلواتهِ | من قال بسم الله ثم يرددُ
ما اكثر الجهلآء لكن شرُّهم | من كان عن ابواب فضلك يشردُ

ولهُ

ولما تثنى وهو ريَّانُ معطفٍ | يميل على سفح العقيق ويخطرُ
تذكرتُ اغصان الرياض يهزُّها | نسيم الصبا والشبه بالشبه يُذكَرُ

ولهُ

كفَّ عني لا ابا لك | قد تبيَّنَّا محالك
وعرفنــاك والاَّ | فمتى نعرفُ حالك

قد مضى لي بك عصرٌ حاملاً فيهِ ملالك
حَسْبُ قلبي منك جورٌ كاد منهُ يتهالك
وكفانا ما احتملنـا منك فاستَدْعِ احتمالك
سنرے النادمَ منا ويُسيءُ الله فالك

ولهُ في بعض المرآئين

لو قيل ما الدينُ قال الزيتُ فاَعْنَ بهِ
وكن كما شئتَ لا تُخلِفْ رضى الباري
يشبُّ نيرانَهُ بالزيت وا عَجَبا
ويحسب الزيت يحميهِ من النارِ

ولهُ من قصيدةٍ الى بعض اصحابهِ الشعرآء

شوقٌ اليك بقلبٍ عنك لم يَغِبِ أَليسَ ذلك في الدنيا من العجبِ
وحبّذا الشوق منسوباً اليك ولو اذاب قلبي فان الحبَّ بالنسَبِ
يشوقني أُنسكم طيباً فاذكرهُ فلا تلمني اذا استغرقت في الطربِ
وما ذكرتُ لقآء الحيّ عن عبثٍ وما طلبتُ لقآء الحيّ عن أَربِ
قد وحّد الحبَّ حُبّيك القديمَ بهِ قلبٌ تكنّيهِ احشآءي ابا لهبِ
اخشى على الحبّ من نيران صبوتهِ لو لم يكن حبكم من خالص الذهبِ

ومنها

لا بارك الله في نظم القريض فما حصلت منهُ على شيءٍ سوى التعبِ
وما القريض وهل معنًى يراد بهِ الا انقراضٌ لهُ من غارة الحِقَبِ

*

يا طالما ظلمت عيني بهِ سهراً اجفانَها فجزاها الظلم من كَثَبِ
وطالما لَزِمَت كفّي اليراع فلم تعرف سواه ولم تستغنِ بالقصبِ

ومنها يعرّض بأغراض

ومُرجعٍ فيَّ طرفاً لا يقلّبهُ الا على جهةٍ مأنوسة الريَبِ
يا طالما لفظتني عينهُ وانـا كالكحل يُلفَظ من جفنٍ ولم يَعِبِ
من دونهِ قاب قوسٍ حين انظرهُ مني ودون رضاهُ سبعة الشُهُبِ
يُغضِي و يزورُّ إعراضاً فظَلِمتي من شدَّة الحلم لا من شدَّة الغضبِ

ولهُ في رسالةٍ بعث بها الى احد اصحابهِ العلمآء على نمط القصيدة الطنطرانية

يا نسيماً ليّن الاعطاف بالمصطاف طاف
حيِّ عني مسعفاً مَن طبعهُ الاسعافَ عاف

**

وتعهَّد من بذيَّاك الحمى والدار دار
كلَّ ميَّاس قوامٍ منهُ غصن الغار غار
واَشكُ اشواقي الى القوم وقل صبٌّ بكم
قلبهُ المجروح كالجارح في الاقطار طار
يذرف الدمع وفي جنبيهِ حرٌّ كلما
حنَّ من اشواقهِ واذكر الآثار ثار

طالما اضحكهُ القربُ فابكاهُ النوى
فهو ذو طرفٍ كليلٍ عاجزَ الابصار صار
ليَ فيهم صاحبٌ من قبلما ودّعني
ساعة الهجرِ ولا فاصلَ في الأَكسار سار
ذمّةُ الجيرةِ من اخلاقهِ نعرفها
يا ترى كيف على الجار وعهد الجار جار
يا شقيق الروح مهلاً ان دمعي قد كوى
وجنتي فاستبدلت من ذلك الدينار نار
ولعَيني حاجبٌ من دمعها عند البكا
فلذا أَسوَدُها في ابيض الاسحار حار
اسهر الليلَ وتصحو انما لي فكرةٌ
مثلت لي شارباً في حانة الخمّار مار
هاج بي الشعر فشبّبتُ بهِ منتحباً
انما التشبيب عندي بسوى الاشعار عار

**

هذهِ الشكوى بها حاليَ بالافصاح صاح
حملتها ورقاتٌ عطرها النفّاح فاح

**

هزّها شوقٌ به قد بلبل البلبالُ بال
مغرم مثلَ خيالٍ لفراق الآل آل

طيَّها سرٌّ لقلبي طالما الزمني
كتمهُ فالآن لما اشتدَّت الاثقالُ قال
هي مثل الروضة الغنَّاء في ازهارها
وكذا دمعيَ كالسيل او السلسال سال
قسماً لو لم اوجّها لطارت بالهوى
كالقطا نحوك من شوقٍ على الاوصال صال
يا خليَّ القلب خلِّ الهجر وارحم قلب من
قد غدا من حبّ ذات الخال والخلخال خال
بك لا بالنفس والدنيا غدا مشتغلاً
والى قربك لا الاموال والآمال مال
اوغل الشوق بجنبيَّ وقد غلَّني
فبجنبيَّ غليلٌ من جرى الايغال غال
طال ليلي ونواحي عندما طال النوى
وسهاد العين من مدمعها الهطَّال طال
حال جسمي وانقضى صبري فهل من حيلةٍ
انْ حال الحول لما أَزِفَ الترحالُ حال
هل تراك العين يوماً لابساً ثوب الرضى
وترى قربك منها اصدا الاوجال جال

✲ ✲

يا سقى الله زمانًا بيننا الشمَّاس ماس
بِطِلاً منها لذي السقم بظلّ الآس آس

**

حيث قِطف الانس بالوصل على العيدان دان
راح يجني منهُ كاللؤلؤ والمرجان جان
وقوام العيش غضٌّ ناعمٌ جانبهُ
مثلَ اعطاف الدُمَى او كطُلَى الغزلان لان
وفؤاد الدهر في قبضتنا منبسطٌ
كل ما نطلبهُ في حوزة الامكان كان
وكؤوس الراح فيما بيننا يحثُّها
نَغَمُ العود وشَدْو الغيد للأوزان زان
وقديمًا حلف الدهر بان يبقى لنا
غير ان الدهر قد خان وبالأَيمان مان
نسخ الحالَ ولم يعطف على منفردٍ
سامهُ تكسيرَ جمعٍ عنهُ في الإِبَّان بان
حسبيَ اللهُ ولا حولَ ولا الا بهِ
كم تباريحَ بها الموت على الولهان هان
يا اخا الهجر كفى الهجران فالشوق على
قلبيَ الحرَّان بالهجران كالنيران ران

طاب ذاك الصفو لي وردًا ولكن فانني
أنَّهُ كان كحلواء الذي في الخان خان (*)

غيرَ أنَّ القلب مرهونٌ على وعد اللقا
فترَى هل يُنجَز الوعدُ فان الآن آن

واكتفي بهذا القدر من نظمهِ في الصباء وهو مع انهُ لا يبلغ طبقة المشهور من شعرهِ فان الاجادة ظاهرة فيهِ مما يدل على انهُ رحمهُ الله كان مطبوعاً على الشعر فلم يكن يتكلفهُ ولا يتعمل لاجلهِ ولا تجد فيهِ حشواً ولا تعقيداً . وذلك مع حسن اختيارهِ للالفاظ الجامعة بين الجزالة والرقة واتساع تصرفهِ في اساليب الكلام مما كان بهِ نادرة وقتهِ . واذا ضممت هذا الى ما لهُ من التآليف العلمية وإحكام وضعها وحسن تنسيقها ثم الى ما في مقاماتهِ من الابداع وجريها كلها على سننٍ واحد من علوّ الطبقة مما دلّ بهِ على قوة ملكتهِ في الصناعة اللسانية وانطباعهِ على الفصاحة العربية علمت انهُ قد انفرد بامور لا تجدها مجموعة في غيرهِ

وكان في اوائل امرهِ قد اتصل بالامير بشير الشهابي الشهير فقرَّبهُ اليه وجعلهُ كاتب يدهِ ومع انهُ لبث في خدمتهِ نحواً من اثنتي عشرة سنة اي الى سنة ١٨٤٠ وهي السنة التي خرج فيها الامير بشير من البلاد الشامية فلم اجد لهُ فيهِ الاَّ مدائح قليلة هي التي اثبتُّها

(*) تلميح الى حكاية الحريري في المقامة الواسطية

في هذه الترجمة ولعلَّ ذلك لان شاعرهُ الخاص كان المعلم بطرس كرامة فلم يشأ ان يزاحمهُ . وبعد ما ارتحل الامير بشير انتقل رحمهُ الله باهل بيتهِ الى مدينة بيروت واقام بها منقطعاً للمطالعة والتأليف والتدريس فاشتهر ذكرهُ في جميع البلاد العربية وراسلتهُ اكابر الشعرآء من العراق ومصر وغيرها وقد طُبع ما دار بينهُ وبينهم في رسالة مخصوصة سُمّيت بفاكهة الندمآء وهي مشهورة

اما صفاتهُ الشخصية فكان معتدل القامة فوق الربعة ممتلئ الاعضآء اسمر اللون حنطيَّهُ اسود الشعر اجشّ الصوت . وكان مهيباً وقوراً شهماً كاملاً متواضعاً متأنياً في حديثهِ وحركاتهِ قليل الضحك عفيف اللسان لم تُسمَع لهُ كلمة بذيَّة قطّ لا في حديثهِ ولا في كتاباتهِ ولم يهجُ احداً ولا هجاهُ احدٌ في زمانهِ غير بيتين قالهما ارتجالاً على سبيل المداعبة وهما هذان

قد قال قومٌ ان خبزك حامضٌ　　والبعض اثبت بالحلاوة حكمهُ
كذب الجميع بزعمهم في طعمهِ　　مَن ذاقهُ يوماً ليعرف طعمهُ

وكان ودوداً مخلصاً رقيق القلب حسن التديُّن مبالغاً في اجتناب السُحت لا يعطي مالاً ولا يأخذ مالاً بالربى ولا يكتب صكاً فيهِ ربى . وكان واسع المحفوظ كثير النكات والنوادر وكان يروي القصة بتواريخها واسمآء اصحابها واسمآء بلدانهم . ومن غريب ذاكرتهِ انهُ كان اذا نظم الشعر لا يكتبهُ بيتاً بيتاً ولكنهُ كان ينظم الابيات ثم

يكتبها حتى انهُ في مدة اعتلالهِ الاخير املى ثمانية عشر بيتاً دفعةً واحدة . وقد الَّف احدى مقاماتهِ وهي المقامة اليمامية على ظهر الفرس وكان مسافراً باهل بيتهِ من بيروت الى بحمدون سنة ١٨٥٣ بقصد الاصطياف فلما انتهى اليها اخذ قرطاساً فعلَّقها . وكان يحفظ القرآن بتمامهِ ويعي من الشعر شيئاً كثيراً ولا سيما شعر المتنبي لشدة اعجابهِ بهِ وكان يقول كأَنَّ المتنبي يمشي في الجوّ وسائر الشعرآء يمشون على الارض

ولبث مقيماً في بيروت على مثل ما ذُكر الى ان أُصيب بمرضٍ عضال فانفلج فالجاً نصفياً عطَّل شطرهُ الايسر ولبث في مرضهِ نحواً من سنتين ثم اصابتهُ سكتة دماغية فتوفي فجأةً في ٨ شباط سنة ١٨٧١ رحمهُ الله عداد حسناتهِ ونفعنا بآثارهِ



قال يمدح المعلم بطرس كرامة الشاعر المشهور

خَطَرَت وفي قلبي لذاكَ خُفُوقُ وَرَنَت فَكلُّ الصاحبَين رَشيقُ
هيفاءُ مالَ بصبِّها سكرُ الهوَى لمَّا تمايلَ عِطفُها المشوقُ
قامت تُديرُ لنا الرَحيقَ وليتَها طَلَبَت مُجانَسةً فدارَ الريقُ
وشَدَتْ فأَطْرَبَتِ الجمادَ وهيَّجت حتى عَلِمنا كيفَ يُحيي البوقُ
ناظرتُها فسَكِرتُ من لحَظاتِها وشَرِبتُ خمرتَها فكيفَ أُفيقُ
وَرأَيتُ رِقَّةَ خصرها فوهبتُها قلبي فإنَّ كلَيهما لرَقيقُ
غيداءُ آنسةٌ نفورٌ عندها يحيا الرجاءُ ويُقتَلُ التوفيقُ
كالآلِ يُطمِعُ لامعًا متقرِّبًا ولِمَن اتاهُ زُفرَةٌ وشهيقُ
قالت وقد غازلتُها متصبّبًا ليس الصبابةُ بالمَشيبِ تَليقُ
هيهاتِ ما كِبَرًا مَشيبي انما هذا الدَلالُ الى المَشيبِ يَسُوقُ
اني أمرُؤٌ طَرِبٌ على غزَلِ المَهى وعلى مُناظَرَةِ الحسانِ مَشُوقُ
حجت الى قلبي العيونُ فانهُ بيتٌ ولكن لا اقولُ عتيقُ
يا ربَّةَ الحُسنِ العزيز لكِ الحشا مصرٌ غلا فسطا عليهِ حريقُ
نُعمانُ خدِّكِ في الرياض ومدمعي هذا لها خالٌ وذاكِ شقيقُ
دمعي حديثٌ لا يزالُ مُسلسلًا أَبدًا وقلبي بالغرام خليقُ

قلبٌ كخالكِ في المحبةِ طيّبٌ   لكنَّ ذا مسكٌ وذاكِ فتيقُ
هو شافعيٌّ عندهُ حُسنُ الوفا   لِابنِ الكرامةِ سُنَّةٌ وحقُوقُ
ومتى الوفآءُ وكلَّ يومٍ برَّةٌ   لكَ في المحاسنِ للوفآءِ سبُوقُ
تأْتي النفائسُ منكَ لا مطروقةً   من دُونِهِنَّ الدِرهَمُ المطروقُ
اللهُ أَكبرُ في الأَئمَّةِ فردُها   ولفيفُها المقرونُ والمفروقُ
رجلٌ وماذا وصفهُ وكَفَى بهِ   رجلٌ لهُ المفهومُ والمنطوقُ
حَسَنُ المعاني والبيانِ كلامهُ   جزْلٌ وَمعناهُ الرقيقُ دقيقُ
فاذا تكلمَ راحَ يفعلُ لفظُهُ   ما راحَ يفعلُ بالنُهَى الراووقُ
حيِّ القريضَ وآخذِيهِ وقُلْ لهُ   قد كانَ مُقترَضٌ وانتَ طليقُ
ها انتَ في يدِهِ رَقيقٌ ان تَحُلْ   عنها فانكَ آبقٌ مسروقُ
لكَ من قريحتهِ السليمةِ صحَّةٌ   وطِرازُ وشيٍ لا يَرِثُّ انيقُ
هيَ ذلكَ الإِكسيرُ صُنعُ اللهِ لا   إِكسيرُ مما يَصنعُ الإِنبيقُ
تُلقي الهلالَ فيستحيلُ بهـا الى   شمسٍ لها عندَ الأُفولِ شُروقُ
يا بطرسُ الشهمُ الكريمُ مكانهُ   وبَنانُهُ ولسانُهُ المنطيقُ
انتَ الكرامةُ وابنُها وأَبٌ لها   نَسَبٌ كريمٌ في الكِرامِ عريقُ
طُفتُ البلادَ وقد جاستُ اليكَ لا   سفرٌ ولم تمنُن عليَّ النوقُ
ما فاتني أَنَّ الأَوائلَ قد مضَوْا   وبقيتَ انتَ ولي اليكَ طريقُ

وقال يعزيهِ بولديهِ

اجملَ اللهُ في فؤادِكَ صبرا وجزَى منّةً وأعظمَ اجرا
وسقى تُربَ من فقدتَ سحاباً لا دموعاً فذاكَ اندى وأطرى
انَّ امرًا دهاكَ اعظمُ امرٍ من تلقّاهُ لا يعظّمُ امرا
غيرَ أنَّ المريضَ يرجو دواءً فاذا لم ينلهُ فالصبرُ احرى
انَّ حقًّا على الطبيعةِ ان تحزَ مَ نَ والعقلُ بالنتيجةِ أدرى
لو يفيدُ البكاءُ والنوحُ شيئاً لأقامتْ خنساءُ قبلكَ صخرا
كلُّ ما في الوجودِ وهمٌ فلا نر حمُ زيدًا ولا نُغبّطُ عمرا
يطمعُ المرءُ في الحياةِ طويلاً وَهوَ في الموتِ او عنِ الموتِ فترا
وحياةُ الدُّنيا تُسمَّى حياةً مثلما تُحسَبُ المجرَّةُ نهرا
هكذا الناسُ عاثرٌ إثرَ كابٍ كلُّ عينٍ بدمعةِ البينِ شكرى
رُبَّ باكٍ لضربةٍ صادفتني وَهوَ قدشكَّ أن تفاجيهِ أخرى
كلُّ مستضحكٍ سيبكيكَ والبا كي سيبكى فالكلُّ قتلى وأسرى
نحنُ والداءُ والدَّواءُ منَ الأرْ ضِ تُراباً والكلُّ للأرضِ طُرًّا
وحياةُ الدنيا طريقٌ الى الأُخرَ ى فخذْ زادَها الذي هوأمرى
يا طريقَ البقا اذا كنتَ خيرًا فلكَ الفضلُ كلَّما زدتَ قصرا
طالما عالجَ الزمانَ رجالٌ فابتلاهم بأحرفٍ ليسَ تُقرا
حيلةٌ تركُها سبيلٌ اليها وسقامٌ برفضنا الطبَّ يبرا

لستَ اهلاً لأَن تُعزَّى بما جئنا م بهِ انتَ فوقَ ذلكَ قدرا
عندَنا ما لديكَ فالبعضُ مما بكَ والبعضُ من دمٍ راحَ هدْرا
لو أَطعْنا الدُّموعَ مبتدِراتٍ ما وَقفنا عليكَ نُنشدُ شعرا
قد عَهِدناكَ تُوسعُ الناس حِلماً وعَهِدناكَ تُوسعُ الناسَ زَجرا
وعهدناكَ كُلَّما اُتَّسعَ الخطبُ م حَوالَيْكَ كُنتَ أَوسعَ صَدْرا
انتَ بحرٌ والحُزنُ جمرةُ نارٍ من رأى جمرةً تُسخّنُ بحرا
قد عركتَ الخطوبَ شفعاً ووتْرا وعرَفتَ الأَيَّامَ بَطناً وظَهرا
ولمِثلي عليكَ نُصحٌ وقد كا نَ فهَذا مِمَّا تَخيرتُ ذُخرا
واذا ما سلِمتَ هانَ فقد أَغنَيتَ م عمَّن يكونُ عبْرًا وغبْرا

وقال وقد بعث بها الى صديقٍ له في طرابلس

صدرٌ بهِ سعةٌ وشوقٌ أَوسَعُ فالحِلمُ يعطِي والبليَّةُ تمنَعُ
وحُشاشةٌ مسلوبةٌ ولعلَّها ذهبَتْ على أَثرِ الفؤادِ تُودِّعُ
يا راحلاً رَحلَتْ اليهِ قلوبُنا وأَظنُّها من شَوقِها لا ترجعُ
مالي أَرى الدارَ التي فارَقتَها مأْهولةً وكأَنَّما هي بَلقعُ
قد فرَّقَ البينُ المُشتِّتُ شملَنا والشملُ لفظٌ مُفردٌ لا يُجمعُ
كانَ اللسانُ رسولَ قلبي فانثنَى قلبي الرسولَ عنِ اللسانِ يُشيِّعُ
ما كانَ أَقصرَ مُدَّةً لكَ بيننا كالحُلمِ تُبصِرُهُ العيونُ الهُجَّعُ

وكذا الزمانُ يَمرُّ مُختلِفاً بنا ... والسوءُ فيهِ والسرورُ يُضيَّعُ
ما كنتُ أَرضَى بالحياةِ وكلُّها ... عِلَلٌ ولكن صرفُها لا يُمنَعُ
ان لم يكن بينُ النفوسِ مروِّعاً ... فغرابُ بينٍ للنفوسِ مروِّعُ
ما اغفلَ الانسانَ عن نُصحائهِ ... وأَشدَّ صبوَتهُ الى من يَخدعُ
يرعى الكواكبَ في السماءِ ضئيلةً ... والنفسُ أَقربُ منهُ لو يَتطلَّعُ
اخذ الطبيبُ بان يُداوِيَ غيرَهُ ... ونَسِي الطبيبُ فُؤَادَهُ يتوجَّعُ
والعِلمُ مَصلحَةُ النُّفوسِ فإِنْ يَكُنْ ... لا نفعَ فيهِ فالجهالةُ أَنفَعُ
بأَبي الذي انحنَتِ المَفارِقُ بعدهُ ... وتقوَّمتْ وجداً عليهِ الأَضلُعُ
انتَ المنزَّهُ عن مَظَنَّةِ جاهلٍ ... وصفاتِ مَن بطباعهِ يَتطبَّعُ
يا ساكناً قلبي المتيَّمَ انهُ ... بيتٌ ولكن في هواكَ مُصرَّعُ
يا طالمـا أَنشدْتُ فيكَ قوافياً ... وحُشاشتي كعروضها تَتَقطَّعُ
نفسي مجرَّدةٌ اليكَ عنِ الوَرَى ... ولعلَّ ذلكَ في المحبةِ يرفَعُ
ان كانَ قد مُنِعَ التقرُّبُ بيننا ... فأَحبُّ شيءٍ عندَنا ما يُمنَعُ

وقال يمدح الامير امين ابن الامير بشير الشهابي

نُفارِقُكُمْ ونضرِبُ في البلادِ ... ولا تترَحَّلونَ عنِ الفؤَادِ
نغيبُ ولا تغيبُ الدَّارُ عنَّـا ... فتوهِمُنا التقرُّبَ في البِعادِ
رَحلْنا بالغَداةِ على وَداعٍ ... فمَنْ هذا المُسلِّمُ في الهَوادِي

وفارَقْنا الديارَ وما يَليها   فما هذا المشخَّصُ في السَّوادِ
خُذُوا عنَّا الذي حمَلتُمونا   منَ الأَشواقِ فهْوَ أَمَرُّ زادِ
وكُفُّوا عن خواطِرِنا وعنَّا   فقد حلْتُمْ بها دُونَ الرُّقادِ
تكلَّفْنا الرَّحيلَ فما أَقمْنا   مَخافةَ أَنْ نذُوبَ على الوِسادِ
وكانَ نصيبُنا منكم كَلاماً   قَطَعْناهُ لتشتفيَ الأَعادِي
تَرحَّلنا الجيادَ وكلُّ صَدرٍ   كأَنَّ فُؤَادهُ تحتَ الجيادِ
ولو كُنَّا نُمَلَّكُ كلَّ أَرْضٍ   نَطاها ما مَشَيْنا عن مُرادِ
أَجارتَنا التي كُنَّا نَراها   وما بَرِحَت ولو طال التمادِي
اراكِ صَحِبتِنا وَظَلِلتِ معْنا   وظَلَّتْ وَحشةٌ لكِ في ازدِيادِ
كوجهِ أَميرِ قيسٍ حينَ يبدو   نراهُ وكلُّنا رَيَّانُ صادِ
نراهُ كما نراهُ ولا جديدٌ   بهِ ونَظَلُّ في مُلَحٍ جِدادِ
سلِ الهَيجاءَ عنهُ وسَلْهُ عنها   اذا انقطعَ الكلامُ لدَى الطِرادِ
وسَلْ عنهُ الخزائنَ لا تَسَلْها   عنِ المالِ الطريفِ ولا التلادِ
وسل عنهُ اليَراعَ وما لدَيهِ   من البِيضِ الصحائفِ والمِدادِ
وسل عنهُ القريضَ وَما يليهِ   وسل كُتُبَ الحواضِرِ والبوادِي
وسل ما شئتَ عما شئتَ حتى   ترى ما شئتَ من غُرَرٍ جيادِ
ترى بَرًّا فسيحاً تحتَ ثوبٍ   وبحرًا يستقلُّ على جوادِ
وبدرًا لا يُلِمُّ بهِ سِرارٌ   وغيثاً ظلَّ يفْعِمُ كلَّ وادِ

رُوَيدَكَ أَيُّها المولى المُفدَّى فأَنتَ على ذُرَى السبعِ الشِدادِ
اذا فَدَتِ النفوسُ كِرامَ قومٍ فُدِيتَ بكُلِّ مفدِيٍّ وفادِ
متى وَثِقَتْ بعهدٍ منكَ نفسٌ كفاها العهدُ عن صَوبِ العِهادِ
ومثلُكَ لا يضيعُ فتىً لديهِ وها انتَ الأَمينُ على العِبادِ
شَرِيكُ الناسِ في خَلقٍ جميلٍ وفي الخُلُقِ الجليلِ على انفِرادِ
لِئن تكُ صُورةٌ جَمعَت فأَوعَت فانَّ التِبرَ أَشبهُ بالرَّمادِ

وقال يمدحهُ وكان قد استوطن مكانًا يقال لهُ البرج بالقرب من بيروت

طالَ النوَى حتى تقطَّعتِ المُنى وضَنِيتُ حتى رقَّ لي قلبُ الضَّنى
والقلبُ ضاقَ بوَجدِهِ عن صبرِهِ حتى يرُودُ وَلا يُصادِفُ مسكِنا
دُمْ والْقَنا كالبدرِ يا شبِهاً لهُ في البُعدِ عنـا والتَنَقُّلِ والسَنَى
اني على الحالَينِ لا أَنساكَ في عُمري ولو أَوشكتُ انسى مَن انا
ولقدذ كرتُكَ فاضطربتُ مهابةً وطربتُ فاشتُقَّ النُواحُ من الغِنا
فبكيتُ حتى مـا بكيتُ لفاقةٍ من أَدمُعي والدَّمعُ يُدرِكُهُ الفَنا
وَوَدِدْتُ لو ابكي البُكاءَ لأَنـهُ يشفِي القلوبَ ولو أَضرَّ الأَعيُنا
ولقدْ ركبتُ الشعرَ حتى ملَّني وَمَلِلتُهُ فأَسأْتُ فيهِ وأَحسَنا
وَخَلائقُ الرُّوحِ الأَمينِ تقودُني كَرْهًا وتَظلِمُني بإِنشادِ الثنـا
صِفَةٌ يضيقُ بها الزَّمانُ وهِمـةٌ ترَكَتْ بها الأَيامُ داءَ مزمِنا

ما كلُّ مَن قالَ القصائدَ شاعرٌ هيهاتِ يَطعُنَ كلُّ من حملَ القَنا
عَزمَ الشِهابُ على النزولِ بموطنٍ يوماً فكانَ البُرجُ يصلُحُ موطِنا
قد صارَ ساحلُ بحرِنا بحراً بـهِ ها مجمعُ البحرينِ أصبحَ عندَنا
لا تحسُدوا مصراً لفائضِ نيلهـا ألنيلُ في مصرٍ وراحتهُ هُنا
تحيا البلادُ بهِ فلو هنَّأتهُ يوماً بها قالَتْ لنا ولكَ الهنا
شهمٌ اذا أخنى الزَّمانُ باهلهِ عصمَتهُ نفسٌ لا يُراوِدُها الخَنا
واذا احوَى الأموالَ كانَ كتاجرٍ يبغي النَّفاقَ مُعجَّلاً ما أمكَنا
شَرَفٌ على كَبِدِ الوَداعةِ نازلٌ ذهبَتْ اليهِ مَذهباً مُستحسَنا
ولَطائفٌ وُصفَ النسيمُ بمثلِهـا في ظلِّ بأْسٍ قد أَرَدْنَ تحصُّنا
يا رُكنَ دوْلةِ آلَ قيسٍ قد صبَت قَيسٌ على يمنٍ اليكَ تيمُّنا
كانت تَنوخُ لهـا ذِراعاً أيسراً قِدماً وكُنتَ لها الذِّراعَ الأيمَنا
لاذَتْ بساحتِكَ الوُفودُ وأطبقَتْ مثلَ ازدِحامِ الحجِّ في وادي مِنى
فيكَ الرَّجاءُ ومنكَ كلُّ كرامةٍ وعليكَ كلُّ مُعوَّلٍ وبكَ الغِنَى

وقال يمدح بعض الروساء

أفِراقاً حسبتَها ام لِقاءَ وَقفةٌ بالأبيرقَينِ مَساءَ
كُنتُ منها على رَجاءٍ فلمَّا حضَرَتني قَطَعتُ ذاكَ الرَّجاءَ
طالما كُنتُ واثقاً بِصَفاءٍ فأَنا اليومَ لَستُ ارجو صفاءَ

لا يَظُنُّ الصحيحُ فجأَةَ سُقمٍ ... واذا اعتَلَّ لا يَظُنُّ شفاءَ
يا بني عَمِّنا رُوَيدًا علينا ... أَوَلسنا جميعُنا غُرَباءَ
ان نكُ اليومَ في البِلادِ افترقنا ... فقريباً نُفارِقُ الدنياءَ
يَرِدُ البُؤسُ والنعيمُ على المَرْءِ ... وكلٌّ يروحُ من حيثُ جاءَ
عاشَ قومٌ رَغدًا وَقومٌ وَبالاً ... ثم ماتوا طُرًّا فراحوا سواءَ
ايها العائفُ الكَفافَ تَمنَّى ... لو أَدامَ الزمانُ خُبزًا وماءَ
واذا أَحسنَ الزمانُ فلا تغترَّ ... واعلمْ بأَنهُ قد اساءَ
والذي يعلَمُ الحقيقةَ لا يُبلَى ... بداءٍ ولا يُعالِجُ داءَ
كأَبيها وشيخنا ابنِ الشرابيّ ... الذي صحَّ أَنَّ فيهِ الشفاءَ
صاحبُ القولِ والفَعالِ رشيدًا ... باطنُ الرأْيِ حسبما يَتراءَى
سلِمَتْ عينُهُ ولا شكَّ فيها ... فَهيَ مِمَّا يُسلِّمُ الأَعضاءَ
أَيُّها اللابسُ السوادَ ولا بِدْعَ ... اذا كُنتَ تقتفي الخُلفاءَ
انتَ في ارضنا خليفةُ عيسى ... ولكَ المُلكُ يومَ تأْتي السماءَ
خلقَ اللهُ فيكَ روحاً من اللُطفِ ... وجسماً منَ البَهَا حيثُ شاءَ
فاذا قُلتَ أَوْ فعلتَ فذاكَ ال ... جوهرُ الفردُ يَفتِنُ الحُكماءَ
لا تَسَلْني حقَّ الثَنَاءِ وتأْتي ... كلَّ يومٍ بما يُطيلُ الثَناءَ
ليسَ عندي الاَّ سوادُ مِدادٍ ... هل يكافي تلكَ اليدَ البيضاءَ
ما مدَحناكَ بل صدَقناكَ اذ قُلنا ... بكَ الحقَّ واكتفينا الخَطاءَ

وبماذا الفَتَى يَمُنُّ على البدْ رِ اذا قالَ إنَّهُ قد أَضاءَ

وقال يمدح الشيخ احمد الغرّ وهو يتولى القضاء في بيروت

ايُّ ذنبٍ تُرَى وأَيَّةُ زَلَّه للمُحِبِّ الذي تحلّلت قتْلَه
كلُّ ما ترتضيهِ سَهْلٌ ولكن عثَراتُ الآمالِ ليست بسهْله
يا لَقومي لَقد سباني غزالٌ تَقتُلُ الأُسْدَ من عذارَيهِ نملَه
علَّمَ الخطَّ باقلٌ منهما يا قوتَ دمعي في الرَّبْعِ وَهْوَ ابنُ مقلَه
ذابلُ الجَفْنِ فاترُ الطَرْفِ لا بِدْعَ ففي خدِّهِ من النارِ شعلَه
هوَ دائي لا اقولُ الدوا منهُ م لئلَّا يقولَ حبّي لعلَّه
يا مريضَ الجفونِ ليسَ عليها حرَجٌ تتَّقيهِ في كلِّ مِلَّه
إنَّ فيها لفترَةً وأَرى لحظكَ م في مُهجتي يُرَدِّدُ رُسلَه
نقلَ الثغرُ عن صحاحِ الثنايا أَنَّهُ الجوهريُّ فاختَرْتُ نَقْلَه
وحكى قوسُ حاجبيكَ عنِ الريشِ م منَ الهُدْبِ أَنَّ لحظكَ نَبْلَه
انَّ قلبي لَغيرُ منصرفٍ عنك م فويلاهُ كسرُهُ من أحلَّه
صِلْ ولا يمنعنَّكَ اليومَ عني سُوءُ حالي فالحالُ تحسَبُ فضلَه
ضاعَ صبري وانهُ صلَةُ المو صولِ عندي فهل عرَفتَ محلَّه
كيفَ تقوَى على بوارحِ وجدٍ منتهى الجمعِ أَضلُعُ جمعُ قلَّه
ليسَ للشوقِ من ختامٍ فأَستخلصَ م منهُ وأَدمعي مستهِلَّه

سلبتني الأَيامُ مالِيَ حتى سلبتني القريضَ الاَّ أَقَلَّه
وبنفسي بقيةٌ صُنتها منهُ م الى مُلتقَى الذي بقيَتْ لَه
وبماذا تُرَى الفتى يلتقي البحرَ م ولو كانَ فوق كفَّيهِ دِجلَه
كلماتٌ قواصرٌ كيفَ تقضي حقَّ من ليسَ يُدرِكُ القولُ فعلَه
كعبةٌ حجَّتِ القوافي اليها طائفاتٍ برُكنها مُستظلَّه
إنَّ وضْعَ القريضِ بين يديهِ والى بابهِ المؤَيَّدِ حملَه
شاعرٌ ينظِمُ القوافي عقودًا دُونها في الرؤُوس عقْدُ الأَكلَّه
وَهوَ قاضٍ يقومُ بالقِسطِ بين ال ناس قد احكمَ الخطابَ وفصلَه
راحمٌ في سِوَى القضاءِ رأُوفٌ يبتغي عفوَهُ وينصرُ عدلَه
صحَّ نحواً بنِ حاجبٍ عندَهُ واعتلَّ م خطُّ ابنِ مُقلةٍ ايَّ علَّه
والفتاوى لأَحمدياَّتِهِ الغرَّاءِ م لا خيريَّاتِ صاحبِ رَملَه
طالما طالَ فاصلاً بيراعٍ تشتهي ان تكونَهُ كلُّ نصلَه
سوَّدَ الطِرسَ فاستنارَ فذيَّاً لكَ سوادُ العيونِ يهدي الأَضلَّه
يا إمامَ الكِرامِ في خيرِ محرا بٍ من الخيرِ خيرُهُ لك قبلَه
انتَ ندبٌ لهُ التُقَى سنَّةٌ وال عدلُ فرضٌ واللهُ يعلمُ نَفلَه
رَحَلَتْ ناقتي اليكَ وَقلبي قبلَها فهْيَ رِحلةٌ بعدَ رِحلَه
ورِضاكَ المُنَى وحسْبيَ طَلٌّ منهُ ان كنتُ لا أُصادِفُ وَبلَه

وقال في رسالةٍ من الجناس العاطل

لأَهلِ الدهرِ آمالٌ طِوالُ وأَطاعٌ ولو طالَ المِطالُ
وأَهلُ الدهرِ عُمّالٌ أَطاعوا هَواهُ كما رأَوهُ مالَ مالوا
كُرورُ الدهرِ حوَّلَ كلَّ حالٍ هوَ الدهرُ الدوامُ لهُ مُحالُ
لَعَلَّ الصدَّ معهُ لهُ حؤُولٌ أُؤَمّلُهُ كما حالَ الوِصالُ
صلاحُ الحالِ والأَعمالِ مالٌ ومهما سآءَ مالٌ سآءَ حالُ
دَعِ العُلَمآءَ والحُكَمآءَ طُرًّا وسَلْ مالاً أَلا سآءَ المآلُ
لأَهلِ العِلمِ عَصْرٌ مرَّ مَعْهم ومرَّ الحِلمُ معهُ والكَمالُ
مَدارسهُ كأَطلالٍ أَراها دَوارِسَ لا سَلامَ ولا سؤَالُ
علا أَهلَ المكارِمِ أَهلُ لؤمٍ أَداروا كأْسهم وسطَوْا وصالوا
مَعاهدُ كُلِّ هِرٍّ كلُّ صَرْحٍ وأَكرَمُ مَعْهَدِ الأُسْدِ الدِحالُ
وكم مَلِكٍ لعامِلِهِ مَلالٌ ومملوكٍ لمالِكِهِ دَلالُ
وما كلُّ امرِءٍ دمُهُ حرامٌ ولا كلُّ امرِءٍ دَمُهُ حلالُ
عَداكَ اللومُ ما للعارِ مآءٌ لِوِردِكَ لا ولا للوَهمِ آلُ
اصحَّ الحلمُ عهدَكَ لا حؤُولٌ لهُ واصحَّ وَعدَكَ لا مطالُ
لكَ الودُّ المؤَكَّدُ لا مِرآءٌ عَرَاهُ ولا مَلامَ ولا مَلالُ
أَمامَكَ والورآءَ صِراطُ عدلٍ سَوآءٌ حولَهُ حُطَّ الرِحالُ
صُدُورُ مكارِمٍ وأُصولُ عِلمٍ أُعدِّدُها كما عُدَّ الرِمالُ

وآراءٌ لمادِحِها كَلامٌ ... وآلاءٌ لحامدِها كَلالُ
لَكُمْ حملَ الرسولُ سطورَ طِرسٍ ... مَطالعُها كما طَلَعَ الهِلالُ
سُطورٌ كالعَرُوسِ لها حِلاها ... ولو أَهداكَها كَلِمٌ عِطالُ

وقال في جواب رسالةٍ

هَوًى في القلبِ يعذُبُ وَهْوَ داءٌ ... كذا الدُنيا وما فيها رِياءٌ
يرَى ما لا أَرَى قلبي فيصبو ... وهل قلبُ المُحبِّ كما يَشاءُ
مررتُ بدارِ مَن أَهوَى فَحَيَّت ... وأَشغَلَني عن الردِّ البُكاءُ
خَلَت من نازلٍ لم يخلُ منهُ ... فُؤَادي فالفُؤَادُ لهُ خِباءُ
على المتحمّلينَ لنا سَلامٌ ... وان طالَ التجنُّبُ والجَفاءُ
اذا حالت مودَّتُنا لبُعدٍ ... فقد حالَ التكَرُّمُ والوفاءُ
تذكَّرتُ الصَباءَ فهِمتُ شَوقاً ... لَقد كانَ الهوَى مُنذ الصَباءُ
وما طيبُ الصَباءِ ولا حبيبٌ ... وما طيبُ الحبيبِ ولا لِقاءُ
الا يااُبنَ الكِرامِ فدَتكَ نفسي ... وان يَكُ لا يفِي هذا الفِداءُ
سَفَكتَ دماً لعيني فيكَ دمعاً ... فلا تَغفُلْ فبينكما دِماءُ
ورُبَّ رِسالةٍ عذراءَ جاءَت ... لها بالمِسكِ ختمٌ وابتِداءُ
من اللفظِ الصحيحِ لها خِباءٌ ... على المعنى الصريحِ لهُ بِناءُ
لآلئُ لُجَّةٍ بِيضٌ عليها ... رِجالُ الحيِّ غارت والنِساءُ

اذا قلنا اليتيمةُ كَذَّبَتْنا لها شَيَعٌ تَجِلُّ وأَنسبآءُ
تُطارِحني المديحَ وكلُّ مدحٍ ثَوَى في غيرِ موضعهِ هجآءُ
رأَيتُكَ ما أَنفتَ لمدحِ مِثلي فذاكَ عليكَ من كَرَمٍ ثَنآءُ
يَزِينُ الحُبُّ ما لا حُسنَ فيهِ فانَّ الحُسنَ حُبٌّ وارتضآءُ
ولو حَسُنَت بعينِ الكُلِّ لَيْلَى لَجُنَّ الكُلُّ واشْتَمَلَ البَلآءُ
انا الوادي اذا ناديتَ لبَّى صَداهُ فكانَ منكَ لكَ النِدآءُ
خلعتَ عليَّ فضلاً أَدَّعيهِ وحسْبي أَنَّ مثلَكَ لي جلآءُ
تَقَطَّعَتِ الزيارةُ منكَ عنا الى أَن كادَ ينقطعُ الرَجآءُ
ولم يكُ بينَنا نارٌ ولكن تَعَرَّضَ بينَنا كالنارِ مآءُ
لقد طالَ البِعادُ ولستُ أَدْري فأَصبِرَ هل يطولُ لهُ البَقآءُ
نقولُ غدًا ونَطمعُ أَنْ نَراهُ فيضحكُ من عِلالتِنا القَضآءُ
تَمَتَّعْ من حبيبكَ قبلَ يومٍ بهِ من دآءِ حُبِّكما شفآءُ
فبعضُ الليلِ ليس لهُ صباحٌ وبعضُ اليومِ ليسَ لهُ مَسآءُ

وقال يمدح بعض الاطبآء

سقاني حُبُّهُ كأْسًا دِهاقا فأَسكرَني وأَسكرتُ الرفاقا
وما عَلِمَ الفؤادُ قديمَ سُكرٍ بهِ ولكانَ يعلَمُ لو أَفاقا
هوَى قلبٍ تملَّكَهُ رقيقًا فوا عجبا ولا يرضى العتاقا

اذا رقَّ الحبيبُ ودقَّ معنىً لهُ رقَّ الهوَى ورَقي وراقا
جميلٌ قد صرَفتُ جميلَ صبري على يدِهِ فأَحسنتُ الطِباقا
يَتُوقُ اليهِ قلبي وهْوَ فيهِ ويخشى أَن يذوبَ فلا يُلاقى
طبيبٌ لا ينالُ الموتُ منهُ دِماَءَ عليلهِ الاَّ اُستراقا
ولو ترَكَ الدَواَءَ لناب عنهُ بأَطيبَ منهُ نَشْرًا أَو مذَاقا
فتىً يلهو العليلُ اذا أتاهُ بهِ عمَّا أُصِيبَ فما أَطاقا
ويُوشِكُ أَن يخافَ فِراقَ سُقمٍ مخافةَ أَن يذوقَ لهُ فِراقا

وقال يمدح بعض علماءِ المغرب

قد طَلَعَ البدرُ من المَغرِبِ فمَنْ رأَى هذا ولم يَعجَبِ
والبحرُ في البحرِ أَتى راكباً في طَيِّ فُلْكٍ طيِّبَ المَشرَبِ
شخصٌ اذا أَقبَلَ لكنَّهُ من شخصِهِ يَخرُجُ في موْكِبِ
في كلِّ فنٍّ ولِسانٍ ترَى منهُ إماماً مُذهِبَ المَذهَبِ
يَعلَمُ ما ليسَ لهُ عالمٌ قارئَ ما قد كانَ لم يُكتَبِ
في قلبِهِ من نظَرٍ صادِقٍ ما كذَّبَ العَينَ ولم يَكذِبِ
دائِرَةُ الحِكمةِ أَقلامُهُ أَعمِدةُ الحقِّ على المَنْكِبِ
احاطَ بالعِلمِ واسرارِهِ إحاطةَ الهالةِ بالكوكبِ
وكادَ يستقصي لُغاتِ الورى من مُعجَمٍ فيها ومن مُعرَبِ

تستحضرُ الأَمرَ لهُ فِكرَةٌ تستدركُ الأَبعَدَ بالأَقرَبِ
بَديهُ رأْيٍ من وَقارٍ بهِ يأبى ابتِدارَ القولِ بالمُوجَبِ
يَعفو على قُدرتـهِ مُغضياً من حلمِهِ عن نَظَرِ المُغضَبِ
يحتالُ في التَّرْكِ لذَنبٍ فإنْ كانَ ففي معذِرَةِ المُذنِبِ
بديعُ لُطفٍ كنسيمِ الصَبَا يُهدِي الرُبى عَرْفَ الكبا الطيّبِ
سِرٌّ سَرَى من سِرِّ مولاهُ في سِرٍّ لهُ سُرَّ ولم يَطرَبِ
رَحْبُ النُهَى والصدرِ والباعِ وال منطِقِ والدارِ كريمُ الأَبِ
ان كانَ خيرُ الناسِ من ينفَعُ ال ناسَ فقلْ هذا ولا ترْهَبِ
ورُبمَّا ضَرَّ حَسُوداً لهُ أَتعبَهُ جرياً ولم يَتعبِ
يالابساً ثَوبَ سَوادٍ كما يَلبَسُ بدرٌ حُلَّةَ الغَيهَبِ
هيَّجتَ بي في الشعرِ بعدَ النوَى وَجداً قديماً في الحشا قد رَبِي
والشعرُ مثلُ المهرِ في خُلقِهِ ان طالَ عهدُ الربطِ لم يركَبِ

وقال وقد بعث بها الى صديقٍ لهُ وكان قد نُعِي اليهِ

نارٌ وما ادراكَ ناري ما هِيا نارٌ يؤَجّجُها هواكَ يمانيا
لا تُنكِروا ان ذابَ قلبي دونَها لو أنَّهُ جبلٌ لأَصبحَ واديا
طالَ الزمانُ وما ظَفِرتُ بطائلٍ وصبرتُ حتى ملَّ صبري عاصيا
ورَضيتُ بالطَيفِ المُلِمّ فخانَني نومي فصِرْتُ بذِكرِ طيفِكَ راضيا

يا كوكباً قد غابَ عنا أَوَّلاً ... وَيلاهُ هل يُرجَى طُلوعُكَ ثانيا
أهوى لوَجهِكَ كلَّ نجمٍ طالعٍ ... ويبيتُ طَرْفي للكواكبِ راعيا
ان كانَ ما بلّغتَ عني كاذِباً ... فغداً سيَصدُقُ ليسَ حيٌّ باقيا
وفِراقُ من أَحببْتَ موتٌ عاجلٌ ... للعاشقينَ فلا تكذِّبْ ناعيا

وقال يعزّي صديقاً لهُ بانسباءٍ لهُ قد توفُّوا كتب بها اليهِ في بلاد المغرب

لا تبكِ ميتاً ولا تفرَحْ بمولودِ ... فالميْتُ للدُّودِ والمولودُ للدُّودِ
وكُلُّ ما فوقَ وَجْهِ الأَرْضِ تنظرُهُ ... يُطوَى على عَدَمٍ في ثوبِ موجودِ
بئسَ الحياةُ حياةٌ لا رَجآءَ لها ... ما بينَ تصويبِ أَنفاسٍ وَتصعيدِ
لا تستقرُّ بها عينٌ على سِنَةٍ ... الاَّ على خوفِ نومٍ غيرِ محدُودِ
ما أَجهلَ المرْءَ في الدُّنيا وأَغفلَهُ ... ولا نحاشي سُلَيمانَ بنَ داودِ
يرى ويعلمُ ما فيها على ثِقَةٍ ... منهُ ويغترُّ منها بالمواعيدِ
كلٌّ يفارِقُها صفرَ اليدَينِ بلا ... زادٍ فما الفرقُ بينَ البُخلِ والجُودِ
يَضَنُّ بالمالِ محموداً يُثابُ بهِ ... طوعاً ويُعطيهِ كَرْهاً غيرَ محمودِ
هانَ المَعادُ فما نفسٌ بهِ شُغِلَتْ ... عن رَنَّةِ العُودِ او عن رَنَّةِ العُودِ
يا أَعيُنَ الغِيدِ تَسبينا لواحظُها ... قِفي انظُري كيفَ تُمسي أَعيُنُ الغِيدِ
يبدُو الهِلالُ ويأْتي العِيدُ في أَنَقٍ ... ماذا الهِلالُ وماذا بَهجةُ العيدِ
يومٌ لغيرِكَ ترجوهُ وليسَ لهُ ... كُلٌّ ليومٍ غَداةَ البينِ مشهودِ

قد صغَّرَ الدهرُ عندي كلَّ ذي خطرٍ ... حتى استوى كلُّ مرحومٍ ومحسودِ
اذا فُجعتُ بمفقودٍ صبرتُ لهُ ... اني سأَتركُ مفجوعاً بمفقودِ
يا من لهُ منهُ أَهلٌ لا جزعت على ... أهلٍ وهل لك رُكنٌ غيرُ مهدودِ
لسنا نُعزّيك إِجلالاً وتكرمةً ... فأَنتَ أدرى ببرهانٍ وتقليدِ
لكل داءٍ دواءٌ يُستطَبُّ بهِ ... وليس للحُزنِ الاَّ الصبرُ مجهودِ
والصبرُ كالصدرِ رُحباً عندَ صاحبهِ ... فانَّ صبرَكَ مثلُ البيدِ في البيدِ
للهِ أيَّةُ عينٍ غيرُ باكيةٍ ... تُرَى وأيُّ فؤَادٍ غيرُ مفؤُودِ
ان كانَ لا بُدَّ مما قد بُليتَ بهِ ... هانَ البِلى بينَ موعودٍ ومنقودِ
حاشاكَ من خُطَّةٍ للقومِ باطلةٍ ... منها الأَسَى لفواتٍ غيرِ مردودِ
فالحِلمُ في القلبِ مثلُ السورِ في بلَدٍ ... والعِلمُ في العقلِ مثلُ الطوقِ في الجيدِ

وقال يرثي كريم قومٍ توفي

لِمَنِ الدمعَ بعد هذا تَصُونُ ... وَعلامَ الصبرُ الجميلُ يكونُ
كلُّ حزنٍ بحسَبِ كلِّ فقيدٍ ... وبحسَبِ الأَحزانِ يبكي الحزينُ
وبحسبِ البلآءِ صبرٌ بهِ القلبُ م على حمْلِ ما بهِ يستعينُ
يُخلَقُ الناسُ للشقآءِ فما أَسعدَ م من لم يُخْلَق فذاك أَمينُ
طالما جَدَّتِ الرجالُ على الدُّنيا م فغارَت ضِحكاً عليها المَنُونُ
قد أعدَّتْ لدهرِها وَهْيَ لا تطمعُ م في يومها فبِئسَ الجُنونُ

كلُّ حيٍّ يرجو الحياةَ ولو في ال   موتِ وهماً فماتَ وَهوَ ضنينُ
قد اطالت فينا الظُنونُ الأمانيَّ   م وعندَ القضاءِ صحَّ اليقينُ
علّةُ الموتِ لا تُداوى ولا تحمي   م الرُقى منهُ والقنا والحُصونُ
ولعلَّ الدواءَ منهُ سقامٌ   وَلعلَّ الفِرارَ منهُ كمينُ
ما ترى من حِماهُ شربةُ ماءٍ   يتَّقي من قضاهُ كافٌ ونونُ
حيلةٌ أعيتِ الأنامَ فمات ال   شيخُ عجزاً كما يموتُ الجنينُ
نشتكي شدَّةَ الحياةِ ولا نر   ضى كما لا يرضى الخلاصَ السجينُ
كلُّنا في الحياةِ يطلبُ أرضاً   شاكلتهُ فنحنُ ماءٌ وطينُ
ايها االعمرُ طُلْ أَو اُقصرْ فاني   للمنايا مهما أطلتَ رهينُ
كلُّ امرٍ لا بدَّ منهُ اراهُ   كانَ قبلاً فلم أخف اذ يكونُ
راحةُ المرءِ تركُ دُنياهُ طوعاً   فهوَ كُرْهاً لتركِها سيدينُ
خبِّرينا يا ارضُ كيفَ سليما   نُ وعادٌ وأينَ تلكَ القرونُ
كنتِ ملكاً لهم فصاروا تُراباً   منكِ ملكاً لنا بهِ نستهينُ
إلْفُ هذي الحياةِ جدَّدَ في الأَ   م نفسِ أُنساً بها فطالَ الحنينُ
وأنِسنا بعضاً ببعضٍ فكانت   وَحشةٌ في القلوبِ حين نَبينُ
ايها الراحلُ الذي زادهُ التقوَ   م ى الى اللهِ والعفافُ هجينُ
انتَ في التُرْب قد دُفِنتَ ولكن   لكَ طيَّ القلوبِ شخصٌ دفينُ
ان تكن نمتَ نومةَ الدهرِ فالنو   مُ علينا قد حرَّمتهُ الجُفونُ

وَلَئِن كُنتَ قد بَلِيتَ فلا يَبلَى م اُشتياقٌ ولا تَرِثُّ شجُونُ
يا لكَ اللهُ هل سمعتَ نُواحاً في الليالي لهُ الصَفاةُ تَلينُ
ان يكن لم تُصِبْ ثَراكَ الغوادي كلَّ يومٍ فقد سقتهُ العيونُ
كنتَ لا تُخلفُ الرَجاءَ كريماً وكريماً خابت لَدَيكَ الظنونُ
نحنُ نَبغِي لكَ الحياةَ فهل تَر ضَى بدُونٍ وكيفَ يُرضِيكَ دُونُ
كنتَ في الارض زاهداً مطمئنّاً لم تَبِعْ دارَها وانتَ غبينُ
لا يبالي بأُرجُوانٍ وخَزٍّ من كَساهُ عقلٌ وعِرضٌ ودِينُ
قد جمعتَ الدارَينِ هذه تولَّتها م بنانُ اليُسرَى وتلكَ اليمينُ
ومِنَ الناسِ جاهلٌ وحكيمٌ ومِنَ الدارِ ناصحٌ وخؤُونُ

وقال يمدح الشيخ حمد المعروف بابن علي الصغير صاحب بلاد بشارة

بين ضربِ الطُلَى وطعنِ الصدورِ تَنزِلُ المكرُماتُ حولَ غديرِ
وعلى صهْوَةِ السوابقِ تُبنَى من عَجاجٍ للمجد شُمُّ القصورِ
انما الفضلُ بالكَرامةِ والإقدا مِ والحَزْمِ في اُعتراكِ الأُمورِ
مِثلَما سادَ في الوَرَى حَمَدُ المحمو دُ حَمْدَ المؤمَّلِ المشكورِ
طارفٌ عن تليد جَدٍّ قديمٍ وَرِثَ المكرُماتِ إرثَ الجديرِ
لقَّبوهُ الصغيرَ وَهوَ عليٌّ اذ رأَوهُ دُونَ الإمامِ الكبيرِ
فِئةٌ تَصلُحُ العلَى والعطايا والسرايا لهم ونحرُ الجَزورِ

لِسَريرِ العُلَى رِجالٌ والاَّ ضاقَ بالجالسِينَ مَتْنُ السريرِ
انتَ منهم وفوقَهم ايُّها الصا في كمالاً لِصفوةِ التكريرِ
حَسَبٌ فوقَ ذلك المجدِ قد زا دَ كأَبياتِ الشعرِ بالتشطيرِ
ضاقَ عنك الثناءُ شرحاً فما تو صَفُ الاَّ بمثل رمزِ المُشيرِ
فوقَ اهلِ القريضِ عِلماً فمن أرْ ضاكَ منهم فذاكَ فوقَ جريرِ
طالما تَنظِمُ القوافي من الشعرِ م طِباقاً بمالكَ المنثورِ
شاعرٌ يخلُقُ المعاني ويرضَى من فصيحِ الأَلفاظِ بالمشهورِ
لا تَلُمْني اذا اقتصرتُ فقد كلَّفتُ م نفسي اليك عزمَ الجَسُورِ
مَوقِفٌ هائلٌ وسيفٌ كليلٌ وكِلا الجانبينِ داعي القصورِ

واقترح عليهِ الامير بشير الشهابي صاحب جبل لبنان ان ينظم تاريخاً لفتح عكآء فنظم هذين البيتين وقد ضمّنهما ثمانية وعشرين تاريخاً بحساب الجُمَّل وذلك يحصل من كل شطرٍ منهما ومن مهمل كل بيتٍ منهما ومن معجمهِ ومن مهمل كل شطرٍ مع معجم كل شطر فيهما و بالعكس صدراً لصدرٍ وعجزاً لعجزٍ وبالخلاف سوى التاريخ الناطق لفظاً وهما قولهُ :

في فتح عكَّا بَرْدُ نارِ مَعاطبٍ دارِ الخليلِ وللديارِ بهِ البُكا
رأسَ الثمانِ واربعينَ بِطَيِّهِ مِئتانِ مَعْ أَلفٍ فبارَكَ ربُّكا
١٢٤٨

ولما بلغ ابرهيم باشا البيتان ارسل يطلب منه قصيدةً على نسق قصيدة السيد شاكر البخلاوي التي مدح بها الشيخ عبد الغني النابلسي بدمشق فنظم هذه القصيدة وقد جعل كل شطرٍ منها تاريخاً وصدَّرها ببيتين قد ضمَّن كل شطرٍ منهما تاريخين ووزع حروف البيت الاول على اوائل ابيات الغزل من القصيدة وحروف البيت الثاني على اوائل ابيات المديح منها اما البيتان فهما قوله :

انت الخليلُ وفي الاطلال بردُ لظىً * أطلال عكا ورفضُ الرعب والحذرِ

١٢٤٨ ١٢٤٨ ١٢٤٨ ١٢٤٨

كُن بالغاً اوجَ سعدٍ ما بهِ ضررٌ * او غالباً لم يزَل في اوَّل الظفرِ

١٢٤٨ ١٢٤٨ ١٢٤٨ ١٢٤٨

واما القصيدة فهي قوله

ا الزهرُ تبسمُ نوراً عن أقاحيها اذا بكى من سحاب الفجرِ باكيها

ن نورُ الأقاحي الذي ما بالحياءِ بهِ من صحةٍ وصفاءٍ عزَّ منشيها

ت تلكَ الربوعُ لليلى أينَ مربعها عن قصدِهِ وسيوفُ العُرب تحميها

ا أدماء تجني على الأكبادِ مُصليةً تبارَكَ اللهُ ما أحلى تجنّيها

ل ليلَى ولي شوقُ قيسٍ في محبتها فشعرهُ فجنونٌ شابهُ فيها

خ خالٌ لها عمّهُ وردٌ بدا حرماً في وجنةٍ حُميت عمَّن يُدانيها

ل للهِ مقلتُها السوداءُ صائدةً قلوبَ عشّاقها والقرطُ راعيها

ي يقول قومي رُويداً قد سقمت هوى فقلتُ مهلاً شفاءي من نواحيها

ل لعلَّ صافي نسيمٍ من خمائلها أتى يهبُّ على روحي فيشفيها

و	وبي رِقاقُ لَيالٍ في النقآءِ وَفَت	بِيضُ اللقآءِ فما أَهنَى لياليها
ف	في جنّةٍ حُوْرُها تزهو بنا وبها	لو كانَ يصفو خُلودٌ في روابيها
ي	يَهزُّني ذِكرُها وجدًا فأَعلَمهُ	جُرحاً ورُوحي تَراهُ من مجانيها
ا	أَساأتُ كتمَ الهوَى والصَبُّ كيف لهُ	سِترٌ وادمعهُ قد هلَّ واشيها
ل	ليسَ الهوى بخفيٍّ عندَ رادِعهِ	فكيفَ ناشرُهُ يَطْوِيهِ تمويها
ا	استودعُ اللهَ صبراً ما أُمارِسهُ	ومُهجةً عن حِسانٍ لَسْتُ أَحميها
ط	طاب الهوَى والضنى واللَوْمُ لي فدمي	أُسَرُّ في بذلِهِ في حيّ أَهليها
ل	لَبَّيكَ يالحظَها الجاني على كَبَدٍ	سالَتْ أَسًى في الهوَى لولا تَأَسّيها
ا	إِنْ تعفُ طوعًا فانَّ العفوَ لي أَرَبٌ	او لا فريحانُ رُوحي في تَفانيها
ل	ليتَ الصِبا عاد لي بعد المَشيبِ على	شرطِ الوفا وَهْوَ ادنى من تَجَلّيها
ب	بِكرٌ محجَّبةٌ لا تنجلي لِحَيًا	حَتَّى من النَجمِ حتَّى ما يُلاقيها
ر	راقَ الدَلالُ لها والذُلُّ لي أَبَدًا	ولم يرُقْ كأْسُ ردي من تدانيها
د	دمعي ومَبسِمُها الدُرُّ الثمينُ صدًى	لمُهجتي فبصبرِ القلبِ أُروِيها
ل	لمَّا رأَت جِدَّ وَجْدي في محبَّتها	قامت بِسيمآءِ هزْلٍ عينُها تِيها
ظ	ظنَّ الجهولُ الهوَى سَهْلاً لوالجهِ	مهْلاً فقد تاهَ جهلاً او عَمِي تِيها
ي	يَهيجهُ غزلُ عينٍ جآءَ حائكُهُ	يَحُوكُ بُرْدَ الضَنى حَلْيًا لِحاويها
ا	انَّ العيونَ التي بانت لطائفُها	لها خفآءُ معانٍ ليسَ ندريها
ط	طلاسمٌ سحرُها المرموزُ طالعةٌ	أَشكالُهُ في سُطورٍ حارَ قاريها

ل | لواحظٌ لُحْنَ في زيِّ الحِدادِ لكي | يُبرِزْنَ حزناً على قَتْلَى روامِيها
ا | الناهباتُ البواكي المبكياتُ فقد | كَفَّت عقولُ البرايا عن معانيها
ل | لولا سوادٌ لها ما ابيضَّ فَوْديَّ عن | شيبي ولا احمرَّ دمعي من تهاديها
ع | عزيزةُ الحسن من أحكام دولتهِ | أنْ يجنيَ الذُلَّ دهراً من يُواليها
ك | كلُّ الجراحات مُشفيها الدواءُ سوى | جراحِها اينَ حلَّت فهيَ مُشفيها
ا | الى العيونِ التي في طَرْفها حَوَرٌ | عهدُ الرِعايةِ رِقّاً من مُحبيها
و | ويلاهُ من زَيْغها داءٌ نطيبُ بهِ | فلا شُفينا بعتقٍ من دياجيها
ر | رُوحي وعيني فدى عينٍ مُطهَّرةٍ | ومُهجةٍ للتي بالنفس أَفديها
ف | فهيَ الجميلةُ لكن بين عاشقها | والصبرِ جورٌ قبيحٌ من تجافيها
ض | ضاعَ الزمانُ وطالَ الوجدُ وا أسفي | ولم يقصِّرْ سباقي في تصابيها
ا | أشابني عتبُها قرباً فأزهدَها | وعيَّرتني بشيءٍ جاءَ من فيها
ل | للشيبِ انفعُ طِبٍّ في الفتى نبأً | بما يُوافي وترهيباً وتنبيها
ر | رأسٌ يصفِّدهُ نامي الصِبا عبثاً | بأدهمِ الشعرةِ النَدّابِ ناميها
ع | عيشٌ قصيرٌ طويلُ الرُعبِ أعدلُهُ | ما يقصرُ النفسَ قرباً نحوَ باريها
ب | برقُ المُنى خُلَّبٌ الا اقلَّ حبىً | تقرُّ عينٌ بهِ رَصْداً يُسلّيها
و | والناس من يشتهي ما المطلُ حاصلُهُ | ومن تفيهِ عِداتٌ نام داعيها
ا | اعوذ بالله مِن علمٍ بلا عملٍ | ومن تَدارُكِ نفسٍ كلَّ راعيها
ل | لوّامةٌ اوقفتني لا أُطاوعُها | ولا يُحبِّبُ ضعفي أنْ أُعاصيها

ح حلت لها النار دون العار في دول — من حاسديها بأرض سال واديها
ذ ذرني وما بي هل لوم علي بها — وقد ملئت وملت من أعاديها
ر رماحكم يا كرام الحي لا تقفوا — ولا تروعكم بلى جدت دواهيها
ك كل البلايا من الدنيا متى نزلت — بنا فنيران إبرهيم تفنيها
ن نار ونور متى قال النزال له — والجود هات يدًا لم يلق ثانيها
ب بنى من العز بيتًا دون أعمدة — سوى قناة له عزت مبانيها
ا اللوذعي العزيز الباسل الملك ال — غازي الملا بيد حسبي اياديها
ل للسيف والرمح والاقلام قد ولدت — راحاته ولسؤال تفاجيها
غ غاز مهيب حسيب ماجد نجب — صافي الصفات نفيس النفس زاكيها
ا اقواله خطب أفعاله شهب — آراؤه قضب بالله حاميها
ا احيى المحامد مفداة مسلمة — اليس امواله تفنى وتبقيها
و ورد ما مر من عدل الصحابة لا — يلهو بزهر ولا خمر يعاطيها
ج جرار خيل يحل البأس جانبها — والفتح والحتف عدلاً بين ايديها
س سل قوم عكا حين أربد مشرقها — والشأم والترك لمّا اسود ناديها
ع عبد الخليل لعبد الله صار بها — إسماً وشبه اسمه راحت أساميها
د داس البلاد بإذن الله يكسرها — وتكسر السيف نزعًا من نواصيها
م ماجت سراياه أبطالاً بسطوتها — تبقي وفيًا وتبلي من يعاديها
ا أحبب بأصيد تحكي الدهر همته — لكن متى ناب شر من يحاكيها

ب بعيدُ قَدْرٍ عن الأَمثالِ ليسَ لهُ   شِبهٌ فما مَدحهُ مما جاءَ تَشبيها
ه هوَ الذي حجَّ آلِ البيتِ جاءَ بهِ   بعدَ الذهابِ جليُّ الطُرْقِ جاليها
ض ضلَّ السعوديُّ وهَّابُ السوادِ فما   أَهداهُ الاَّ ببرقِ البيضِ واليها
ر رَسولُ حقٍّ نزالُ الحربِ سنّتهُ   وفَرْضهُ الجِدُّ بالجَدْوى يواليها
ر رامَ الحجازَ وسودَ الزنجِ ثمَّ رَمى   فيها القِتالَ وأَمَّ الرُومَ يرميها
ا اللهُ اكبرُ هذا حالُ منْ جلسَ الـ   أَيَّامَ فوقَ سُروجِ الخيلِ يُدميها
و والحمدُ للهِ لم تَقصرْ بواكرُهُ   في ما يَقومُ ولم تحصَرْ مَساعيها
غ غَلَّابُ نادٍ وأَجنادٍ يُعاهدهُ   نصرٌ قريبٌ على لُطفٍ يماشيها
ا أَحصى المُنى والثنا والحزمَ والكرمَ الـ   أَسنى وآياتِ عدلٍ لَستُ أُحصيها
و لا أَعقبَ الوبلُ مِصراً وَهوَ تاركُها   همًّا فجُودُ يَدَيهِ جاءَ يُغنيها
ب بحرٌ وبدرٌ ولَيثٌ لا يُرَدُّ لهُ   أَمرٌ وصَمصامةٌ سُبحانَ باريها
ا ابو الفتوحاتِ أُمُّ الحربِ طاهيها   سُلطانُ ساحاتِ برِّ العُرْبِ واقيها
ل لهُ البِلادُ بأَشخاصِ العبادِ بما   أَبقَى التِلادُ بما حاطت أَقاصيها
م محمَّد سيّ عليٌّ شأْنهُ كُسرَت   طوارقُ الروعِ باسمٍ منهُ يأْتيها
ي يا يومَ عثمانَ لم يَقفلْ بباكرهِ   إلاَّ حفايا ظُعونٍ وَهوَ حاديها
ز زَلَّت به قَدَمٌ جاءَت بهِ مرَحاً   فردَّها عن يدٍ والنصرُ تاليها
ل لسيفِ سُلطانِ مصرٍ هيبةٌ لَقِيَ الـ   بلادَ حيٌّ بها باسيفهِ غازيها
ف فاقَ الثنا أَنَّكَ الدُنيا وقاهرُها   سعداً وحاكمُها حقًّا وقاضيها

ي | يافاتحَ المَنصِبِ الطارِي نَدًى وَرِدًى | على الصَدَى والعِدَى يخْلِي طواريها
ا | اتيتُ نحوكَ أُحيِي الليلَ عن عَجَلٍ | وأَقتُلُ الخيلَ جَوَّاباً أُزَجِّيها
و | واللهُ يشهدُ كم ليلٍ سَهِرتُ بكم | اجـلو رقيمةَ دُرٍّ رُدَّ جاليها
ل | لم يأتِهـا قبلُ الاّ شاكرٌ عَجَباً | وجئتُ بعدُ فأَهدتني قوافيها
ا | أَبقت صُدَاعاً براْسٍ راحَ يسلبهُ | وحبَّذا سلبُ أَدواءٍ تُداويها
ل | لم أَلقَ كُفْوَالها مِمَّنْ رَفعتُ يدي | قبلاً اليه فلم أَهتمَّ تنزيهـا
ظ | ظلَّ البديعُ لها عبدًا يُلِمُّ بها | وكلُّ خَطبٍ سليمٌ عندَ راقيها
ف | فأَنعمْ بها وَهيَ فَلْتَنعَمْ بمُـكرِمِها | جُودًا ومُعظِمِها جاهاً ومُعليها
ر | راقتْ كأَدنى مَعانيكَ الحِسانِ فما | آياتُ حقٍّ كشَطْرٍ من مَبانيها

١٢٤٨

وساله بعض من له عليه حق الاجابة ابياتاً يقدم بها على نائب ابرهيم باشا لما كان في دمشق الشام فقال

اخافُ اذا اشارَ براحتيهِ | لِعلمي أَنَّ رُوحي في يدَيهِ
وَيخفِقُ عِندَ نَظرتهِ فُؤَادي | لأَنَّ سَوادَهُ مِنْ مُقلتيهِ
رَشاً أَلِفَ النفارَ وليسَ بِدْعٌ | فقد خُلِقَ النفارُ لِمَعْطِفَيهِ
يُعاهِدُ كُلَّ يومٍ كلَّ عهدٍ | ويَغدُرُ بالنبيِّ وصاحِبَيهِ
أُريدُ سُلوَّهُ من كلِّ قلبي | وقلبي لا يُطاوِعُني عليهِ

وهيهاتِ السُلوُّ وقد ظَلَلْنـا وَظلَّ الغُنجُ يَعْقدُ حاجبيهِ
وما طُفنـا البلادَ ولا رأَينا مَقامَ المجدِ والدُنيـا لديهِ
لديهِ الفاضلُ البحريُّ بحرٌ تَضيقُ بحارُنا في جانبَيهِ
أَصحُّ الكاتبينَ يدًا وفكرًا وأَضبطُ حاسبًا من كاتبَيهِ
وأَمضى من ذُبابِ السيفِ رأيًا وأَجملُ طَلعةً من صفحتَيهِ
بيحيى تَلهَجُ الفُضلاءُ طُرًّا كما لَهِجَ النُحاةُ بسيبوَيهِ
وتُثني المكرُماتُ عليهِ مما يُعظّمُها وتَحمَدُ أَصغرَيهِ
اقولُ لمُقلتي لمَّا رأَتهُ أَهذا مَن رَجَونا أَن ترَيهِ
لكِ البُشرَى بهِ فاُهنَيْ وقرّي بمَن يُنسِي المُسافرَ والدَيهِ
دعوتُ من الطريقِ أَبا سليمٍ فلبَّاني وأَبرَزَ معصَميهِ
فَرُحتُ وقد ضَرَبتُ الدهرَ صفحًا وراحَ الدهرُ يَضربُ أَصدرَيهِ
سيعلمُ أَهلُ لُبنانٍ بأَنّي فتًى وَطِئَ السماكَ بأَخمَصَيهِ
ويَحسُدُني الذينَ حَسَدتُ قبلاً على وَطرٍ نَزَلتُ بأَسوَدَيهِ
أَلِفتُ الصبرَ حتى صرتُ صبرًا ولكن كُنتُ اطوَلَ شُقَّتَيهِ
وشَيَّبَ عارضيَّ وليسَ بدعٌ اذا شابَ الكريمُ بعارضَيهِ
وَصَلتُ بهِ الى وَطرٍ كريمٍ على الأَوطارِ يعقدُ خنصرَيهِ
كريمٌ من كريمٍ حين يبدو ترى الأَبصارَ شاخصةً اليهِ
رَفَعتُ اليهِ دعوَى الحُبّ شرعًا وهذي العينُ أَعدَلُ شاهديهِ

وقال في بعض اصحابه الشعرآء من اهل طرابلس الشام

عَفَتْ دارٌ كقلبكَ بعد سَلْمى | فأَيُّ المنزلينِ أَضَلُّ رَسْما
وهل تُغني الدِيارُ بغيرِ اهلٍ | ولو سَلِمَتْ وكيفَ تنالُ سِلْما
بَكَيْتُ على المَنازِلِ فاُستَرابَتْ | فتًى يسقي المنازلَ وَهْوَ يظما
تَخُطُّ مدامعي واذا كأَنّي | أُداعِبُها فأَمحو الخَطَّ لَثْما
فَدَيتُكَ من مُوَدِّعةٍ توَلَّت | وَخَيَّمَ شخصُها في السِرّ وَهْما
حُرِمنا مُنْذُ عَهدِكِ غُمضَ جَفنٍ | فكيفَ نَظُنُّ وَصلَكِ كانَ حلُما
الى الجَبَلَينِ منا اليومَ شوقٌ | وإِنْ لم نعرِفِ الجَبَلَينِ قِدْما
اذا أَبصرتُ نارَهما تَمَنَّى | فُؤَادي أَنَّهُ قد كانَ فَحْما
حَرَصتُ على الحياةِ وتلكَ رَهنٌ | لمن تُدمي بأَلحاظٍ وتُدمَى
اذا اعطت لواحظُها أَمانًا | فتأخيرٌ الى أَجَلٍ مُسَمَّى
مُنَعَّمةٌ بنارِ الوجد تُحمي | مُمَنَّعةٌ بمآءِ البِيضِ تُحمَى
رأَيتُ لعينِها قوسًا وريشًا | فما كذَّبتُ أَنَّ هناكَ سهما
يُساقُ الى الدلائلِ كلُّ حكمٍ | اذا قامَ الدليلُ أَقامَ حُكما
فما قُلنا طَرابُلُسٌ سَمآءٌ | الى أَنْ أَطلعَت في الأُفقِ نَجْما
كريمٌ للثنآءِ بهِ ثَنآءٌ | فخيرُ القولِ ما لم يُخطِ مَرمَى
لَديهِ تَخجَلُ الأَشعارُ نَقْدًا | وإِنْ تكُ قد تباهتْ فيهِ نظما
أَصَحُّ القومِ في الغَمَراتِ رأْيًا | وأَجلى رُؤْيةً وأَجَلُّ حزْما

وأَطيبُ من نسيمِ الرَوضِ نَشْراً ‏ ‏ واعذَبُ من سُلافِ الكأْسِ طَعْما
يُحِبُّ البَذْلَ الاَّ في امتنانٍ ‏ ‏ ويأْبَى الفضلَ الاَّ أَن يَتِمَّا
ولا يَهوَى لمُهجتِهِ رَواءً ‏ ‏ على عَطَشٍ بصاحبِهِ أَلَمَّا
نجيبٌ يسبِقُ الداعي مجيباً ‏ ‏ لهُ لو كانَ يُؤْتَى قبلُ عِلماً
وَيَعذِرُ من اتاهُ وليسَ عُذْرٌ ‏ ‏ لهُ في الناس اذ لم يأْتِ جُرْما
تُقيِّدُ كلَّ آبدةٍ لديهِ ‏ ‏ سُطورٌ كالسَلاسلِ جِئْنَ دُهْما
تَخَيَّلَ من بياضِ العينِ طِرساً ‏ ‏ فجاءَ بأَسودِ الإِنسانِ رَقما
وَحسبُكَ شاعرٌ عربيُّ لَفظٍ ‏ ‏ تَدِقُّ لهُ معانٍ خُلْنَ عُجْما
تَصَرَّفَ بالغرائبِ عن فُؤَادٍ ‏ ‏ لأَغلاقِ المَشاكلِ فضَّ ختْمَا
رأَيتُكَ تَنظِمُ الدُرَرَ اليتامَى ‏ ‏ فقد لُقِّبتَ بالنَحَّاسِ ظُلما
وما كلٌّ يُلَقَّبُ عن حسابٍ ‏ ‏ ولا كلٌّ على قَدَرٍ يُسمَّى
اجاشَ الشعرَ شِعرُكَ في فُؤَادي ‏ ‏ فقمتُ صَبابةً وقَعَدتُ سُقْما
وتقصيرُ الضعيفِ يُعَدُّ عيباً ‏ ‏ ولكنْ لا يُعَدُّ عليهِ إِثما

وقال يمدح الشيخ محمد المفتي الطرابلسي وكان قد حضر قاضياً الى بيروت

بين رِئمِ الحِمَى وآرامِ رامَهْ ‏ ‏ حربُ بدرٍ فهل علينا مَلامَهْ
قد طلبتُ النِضالَ حتى تلاقَينا ‏ ‏ م فلمَّا رَنَا طلبتُ السَلامَهْ
اينَ سيفي من لحظِ من يَقطعُ السيفَ ‏ ‏ م بلحظٍ لهُ كقَطعِ القُلامَهْ

يَتَّقي العينَ ان تَراهُ ويَخشَى   عينَهُ كلُّ فارسٍ تحتَ لامه
مَن لِمِثلي بمِثلِ ظَبْيٍ حَماهُ   سيفُ جفنٍ يعلو على رُغمِ قامه
انما الهَجْرُ للمحِبّينَ موتٌ   ليتَ شعري متى تكونُ القيامه
لي ذُلٌّ اقامَ عِزًّا لديهِ   ذُلُّ نفسٍ لعزِّ نفسٍ إقامه
واذا لم أَعرِف كَرامةَ نفسي   كيفَ ارجو ممَّن سِوايَ كَرامه
ما أَنا والحِسانَ تُضحِكُ رَيحا   نَ عِذارٍ من عارِضَيَّ ثَغامه
كُلُّ فنٍّ لهُ رِجالٌ وفي كُلِّ   م رِجالٍ مَن يستحِقُّ الإمامه
كإِمامِ القُضاةِ مولى الموالي   كَعْبةِ الفضلِ العالِمِ العَلَّامه
أَلَّذي قامَ في طَرابُلُسِ الشا   م فكانت في وَجنةِ الشامِ شَامَه
عَلَمٌ دلَّتِ البَنانُ عليهِ   عندَ إقبالِهِ فتلكَ العَلامه
عَجِبَ الناظرونَ للبحرِ منهُ   فوقَ سرجٍ والبدرِ تحتَ عِمامه
هيبةٌ في وَداعةٍ وانبساطٌ   في وَقارٍ ورِقَّةٌ في شَهامه
لا تَنالُ المُدامُ منهُ ولا يلقَى   م الغَواني بمُهجةٍ مستهامه
نَصَبَتْ عينَهُ رقيباً عليهِ   منهُ نفسٌ لنفسِها لَوَّامه
ليسَ يحتاج في الفعالِ الى العُذ   رِ ولا تعقُبُ الفعالَ النَدامه
عقَدَتْ في القَضاءِ صُلحَ اعاديهِ   م وأَنْسَتْ حُبَّ الصديقِ أُستقامه
تُرهِبُ النفسَ نظرةٌ منهُ إِجلا   لاً وتُحيي القُلوبَ منهُ أبتسامه
رامَ تقبيلَ كفِّهِ كلُّ ثَغْرٍ   ولَدَيهِ تطأْمنَتْ كُلُّ هامه

بعُدتْ غايةُ الإمام ولم أَظفرْ م بعينٍ كعينِ ذاتِ اليمامه
يَسبقُ الفعلُ منهُ قولي فما أُد ركهُ لو رَكبتُ متنَ النعامه
حَسْبُكَ اللهُ يا محمدُ قد أَو عيتَ ما ضاقَ عنهُ غورُ تهامه
ليتَ مُعطيكَ ذلكَ الفضلَ اعطا نا لهُ أَلسُناً بهِ قوَّامه

وقال يرثي مخائيل صَدَقة الطرابلسي

على الدُنيا ومَن فيها السَلامُ اذا ذَهبَتْ أَحبتُّنا الكرامُ
وما الدُنيا سِوَى أَهلٍ عَلَيها اذا رَحَلَ المُقيمُ فما المُقامُ
رُوَيدَكَ ايُّها الناعي صَباحاً كَلامُكَ في القُلوبِ لهُ كِلامُ
أَراكَ نَعَيتَ لي قمرَ الدياجي تُرَى هل يُدرِكُ القمرَ الحِمامُ
لميخائيلَ تبكي كُلُّ عينٍ وان يكُ في الجِنانِ له اُبتسامُ
نُساءُ بما يَسُرُّ وكلُّ نفسٍ لها وَطَرٌ سِواهُ لا يُرَامُ
أَقامَ على المنازلِ كلَّ خودٍ تنوحُ ولا كما ناح الحَمامُ
وما مثلُ البكاءِ على حبيبٍ لطائعهِ وعاصيهِ سَقامُ
سوافرُ لا تنالُ العينُ منها عليها من غدائرها لِثامُ
لئنْ كانت بُدوراً في ظَلامٍ فقد صارت بذاكَ هيَ الظَلامُ
مخضَّبةُ الطُلَى بدِماءِ دمعٍ بهِنَّ الشيخُ خُضِّبَ والغُلامُ
يَحولُ الدَمعُ دُونَ الدَمعِ جرياً فيوشِكُ أَن يُكفكفَهُ الزِحامُ

أَلا يالابسَ الدِيباجِ ماذا لَبِستَ وما اُكتسَتْ تلكَ العِظامُ
عَهِدتُ الخَزَّ لا يُرضيكَ مهدًا فما افتَرَشَتْ لِجَنْبَيكَ الرِجامُ
رَحَلتَ عَنِ الدِيارِ بِلا وَداعٍ وهل بعدَ الرحيلِ لها سلامُ
تُحاذِرُ بعدَ بينِكَ مِن نزيلٍ كأَنَّ النازلينَ دَمٌ حرامُ
أَيدري النعشُ ايُّ فتىً عليهِ ويدري اللحدُ مَن فيهِ ينامُ
ولو عُرِفت لهُ في التُرْبِ ذاتٌ ومَنزلةٌ لَهابَتْهُ الهَوامُ
بَكَتهُ الصُحْفُ والأَقلامُ حُزنًا كما بَكَتِ البَلاغةُ والكَلامُ
وتبكيهِ العُفاةُ وكُلُّ عافٍ على الصَدَقاتِ يبكي لا يُلامُ
رَمَتْ أَيدي المنايا كُلَّ قلبٍ بسهمٍ أَسىً بهِ تُصمى السِهامُ
قَصَفْنَ قضيبَ بانٍ في صِباهُ وكيفَ القصفُ اذ لانَ القَوامُ
كذا الدُنيا وان طالت علينا لكُلِّ بِداءَةٍ فيها خِتامُ
ولم تَزَلِ الحَياةُ لكلِّ نفسٍ بها نقصٌ وفي الموتِ التَمامُ
بَنَيناها وَتهدِمُنا وكُلٌّ منَ الأَمرَينِ ليسَ لهُ دَوامُ

وقال يمدح اسعد باشا قائد جيش البلاد العربيَّة

بِناءُ العُلَى بينَ القَنا والبوارقِ على صَهَواتِ الخيلِ تحتَ البيارقِ
وللهِ سِرٌّ في العِبادِ وانما قليلٌ محَلُّ السِرِّ بينَ الخَلائقِ
يقلّبُ هذا الدهرُ احوالَنا كما تَقَلَّبَ فينا لاحِقًا إِثرَ سابقِ

ولولاهُ لم تُكشَفْ ظُلامةُ غاصبٍ ... ولم تُقضَ في الدُنيا لُبانةُ عاشقِ

نعيمٌ وبؤسٌ يَمضيان كرائدٍ ... لقلبٍ على إِثرِ الفريقَينِ لاحقِ

تُرِيكَ الأَمانيِ العيشَ دُفعةَ ماطرٍ ... وتلكَ اذا حَقَّقتَ لمعةُ بارقِ

وما الجهلُ إلاّ في قَبُول خديعةٍ ... وماالحِلمُ إِلاّفي اُختبارِ الحقائقِ

ولولا اُختبارُ الدولةِ اُبنَ سريرها ... لَمَا اعتمدَتهُ في المعاني الدقائقِ

كريمٌ تولَّى الأَمرَ يُصلِحُ امرَهُ ... كَفَتقٍ تولَّتهُ انامِلُ راتِقِ

وقامَ بأَعبآءِ المُلوكِ مُشمِّرًا ... لها ذيلَ طَلَّاعِ الثَنِيَّاتِ صادقِ

حُسامٌ خبا السُلطانُ للدهرِ نصلَهُ ... لجوهرةٍ خبَّأَتها للمضايقِ

أَتى من لَدُنهُ خاتمَ الرُسلِ فاتحًا ... مَغالقَ طُرقٍ أَشكَلَتْ وطرائقِ

اذا اشتدَّ خطبٌ اعجزَ الناسَ كشفُهُ ... رماهُ بهِ عن مثلِ قوسِ جُلاهِقِ

فراضَ رِكابًا أَتعبَتْ كلَّ راكبٍ ... ومَهَّدَ طُرُقًا أَعثَرَتْ كلَّ طارقِ

اقام السرايا ينفِرُ الموجُ خيلَها ... بكل لِوآءٍ فوقَ لُبنانَ خافقِ

بحارٌ على وجهِ البِحارِ زواخرٌ ... جبالٌ على متنِ الجبالِ الشواهقِ

كأَعجازِ نخلٍ خاوياتٍ عُداتُها ... تَخِرُّ لَدَى غاباتِ نخلٍ بواسقِ

تَجِفُّ بايديها الدِمآءُ من الظُبَى ... فتَضرِبُ لا تحتاجُ قبضَ البراجقِ

يقود الوزيرُ الجيشَ غيرَ مُخالفٍ ... وقدساق عنهُ الجيشَ غيرَ موافقِ

ويَذخَرُ بيضَ الهِندِ وَهيَ كنوزُهُ ... وَتهلِكُ معهُ بينَ نحرٍ وعاتقِ

يحدّثُ أَهلَ الغربِ في كل ليلةٍ ... بما فعلت غاراتهُ في المشارقِ

فيَعْجَبُ من أَفعالهِ كلُّ عاقلٍ ويثني على افضالهِ كلُّ ناطقِ
تَشكَّتهُ الظبي من كثرةِ الضربِ فاشتكى تكَسُّرَها من ضربهِ في المَفارقِ
ومَلَّت ظُهورُ الخيلِ منهُ فَملَّها اذا لم تُخَضَّبْ من دمٍ بشقائقِ
اذا قامَ من تحتِ السُرادقِ راكباً اقامَ عَجاجاً فوقهُ كالسُرادِقِ
ولما رأَينا كيفَ تَنقَضُّ خيلُهُ علمنابها كيفَ انقِضاضُ الصواعقِ
اذا ما رَمى يوماً بِهنَّ عواصماً ضَحِكنَ على اسوارِها والخنادقِ
وما السورُ الا بالرِجالِ فانها بَنَتهُ فكانَ الهدمُ ليس بعائقِ
يُقَدّمُ جيشَ الرُعبِ قبلَ جيوشهِ نذيراً وان عادت فغيرُ مرافقِ
تفارقُ اطرافَ البلادِ خيولُهُ واصواتُها في قلبها لم تفارقِ
يَطأنَ الحَصى كالتُربِ غيرَ عواثرٍ ومُلْسَ الصَفا كالرَملِ غير زوالقِ
ويَحْسَبنَ وحشَ الغاب آرامَ رامةٍ ويحسبنَ غابَ الوَحشِ زَهْرَ الحدائقِ
عليها أُسودٌ تَتَّقي عارَ هاربٍ ولا تَتَّقي في الكَرِّ وَقْبةَ غاسقِ
رِماحٌ بأَيديها رماحٌ طويلةٌ تمزّقُ شملَ القومِ في كل مازقِ
يَنِضُّ دَماً ما اندقَّ منها فانهُ قتيلٌ بثارات الضُلوعِ السواحقِ
اذا نابَ خَطبُ الدهرِ فادعُ تَيَمُّناً بأَسعَدِ خلقِ اللهِ دعوةَ واثقِ
عزيزٌ اذلَّ الدهرَ وهو عدوُّهُ لأَنَّ الخَنا في سُوقهِ غيرُ نافقِ
كريمُ السجايا ملْءُ قلبِ مؤمّلٍ وراحةِ مُستَجدٍ ومُقلةِ رامقِ
لهُ في عُيوبِ الناسِ نظرةُ غافلٍ وفي غامضاتِ السِرِّ نظرةُ حاذقِ

مضى يَجمعُ الأَفضالَ وهي عبيدهُ فما فاتَ منها فرٌّ منهُ كآبقِ
يُسَرُّ بما يُعطي مسرَّةَ آخذٍ فيشكرُ منا طارقاً شُكْرَ طارقِ
صحيحُ بنانٍ تَضبطُ المُلكَ دهرَهُ ولا تَضبطُ الدينارَ بِضعَ دقائقِ
الى دارِهِ الرُكبانُ تهوِي فتنثني مُشاةً لوقرِ المالِ فوقَ الأَيانقِ
يربّي جيادَ الصافناتِ كوالدٍ ويُنشي جِدادَ المَكرماتِ كخالقِ
وَيعمرُ أَبياتَ البِلادِ كمالكٍ ويكفُلُ حاجاتِ العبادِ كرازقِ
لهُ في رؤوسِ القومِ تيجانُ نِعمةٍ وأَطواقُ أَمنٍ في نُحورِ العواتقِ
وعينٌ تُراعي نفسَهُ قبلَ غيرِهِ فلا يتَوَلَّى عِرضَهُ سهمُ راشقِ
ختمتُ على نظمِ القوافي ففضَّهُ كريمٌ عليهِ هانَ فتحُ المغالقِ
تَضيقُ بحارُ الشعرِ عنهُ وتستحي ببحرٍ لما في بحرِ كَفَّيْهِ غارقِ
اليكَ حملنا طيّبَ الكَلِمِ الذي الى اللهِ يُهدَى دونَ جُردِ السوابقِ
وما كَتْمُ قولِ الحقّ عندَ مُكاشِفٍ بهِ دُونَ قولِ الزُورِ عندَ مُنافقِ
لقد فُقتَ اهلَ الفضلِ فالقومُ فضلةٌ ومَن لي بوَصفٍ مثلِ فَضْلِكَ فائقِ
اذا كنتَ بِدعاً في الكِرامِ كما تَرَى فَلَبَّيكَ إِنّي شاعرٌ غيرُ سارقِ

وسالهُ بعضُ اصحابهِ من اهل الشعر ابياتاً يقدم بها على نائب الوزير المشار اليهِ في حاجةٍ لهُ فقال

لا تلوميهِ في الهوَى واُعذِريهِ هل يُفيدُ المَلامُ مَن لا يَعيهِ
للهوَى كالمَلام داعٍ فإِنْ قُلتِ م بتركِ الداعي إِذَنْ فاتركيهِ

حَدَقُ الغيدِ فاتناتٌ والأ فَجَمادٌ فُؤادُ مَن تلتقيهِ
والهوى في القلوبِ شَرْطٌ فان لم يَكُ بالمُشتهى فبالمكروهِ
كُلُّنا يبتغي من العَيشِ ضَرْبًا وسُرورُ الفتى بما يبتغيهِ
انما نحنُ في اختلافِ عقولٍ مثلَما نحنُ في اختلافِ وُجوهِ
رُبَّما طابَ للفَتَى ما كَرِهنـا وَهْوَ منّاً وعافَ ما نشتهيهِ
لو تَساوَى المَذاقُ لم يَكُ في الدُّ م نيا خسيسٌ ولم تَقُمْ بالنبيهِ
صُنتُ نفسي عن جاهلٍ صانَ عنّي نفسَهُ يشكوني كما أشتكيهِ
واذا لم أَلقَ السفيهَ بحِلمٍ ضاعَ حِلمي فكنتُ عينَ السفيهِ
كانَ للعِلمِ دولةٌ عندَ قومٍ عرَفوهُ فأكرَموا عارفيهِ
ليسَ فينا مَن يقبَلُ العلمَ عَفْوًا فاذا بِعتَهُ فمَن يشتريهِ
قد هجونا بني الزَمانِ فنلنا حَظَّ هجوٍ لأنَّنا من بنيهِ
سيفُ اهلِ الشعرِ الهجاءُ ولكِنْ قَلَّ مَن هذا السيفُ يقطعُ فيهِ
علّمَتْني تجاربُ الدهرِ ما لا كُنتُ أَدري من آلهِ وذَويهِ
وتركتُ القَريضَ أنتهِزُ الفُر صةَ حتى رأَيتُ مَن يقتضيهِ
صفةٌ أضفَتِ القَريحةَ حتى سهَّلَت في البديعِ نظمَ البَديهِ
مُعجِزاتٌ في الفِعلِ مُمكِنةٌ في ال قَولِ لكن بعيدةُ التشبيهِ
إنَّما نـائبُ الوزيرِ وزيرٌ قامَ بالفضلِ وَهْوَ يدَّعيهِ
عُمدةُ العاجزِ الكلامُ وللفَعَّا م لِ فِعلٌ عن قولِهِ يُغنيهِ

كَلَّفَ الناسَ وصفَهُ وَهُوَ لو كُلِّفَهُ ما أُستطاعَ أَنْ يُحصِيهِ
يَسَعُ المُلكَ صدرُهُ مثلَ عينٍ وَسِعَت كُلَّ فَدفَدٍ تجتليهِ
كاتبٌ يَقطعُ السُيوفَ يراعٌ في يديهِ وليسَ ضربٌ يليهِ
زاهدٌ يَلبَسُ السوادَ ويمشي في بَياضٍ لديهِ مشيةَ تيهِ
واذا غابَتِ الصحائفُ عنهُ حضرَتهُ صفائحٌ تقتفيهِ
عَلِمَ السيفُ أَنَّهُ يكسِبُ البيضَ فرِندًا فجاءَهُ يجتديهِ
طالَما أَخجلَ الكِرامَ كريمٌ اكثَرَ اللهُ في الوَرَى حاسديهِ
عَجِبُوا من صَغيرِ ما لاحَ من أَفعالِهِ والكبيرُ لا يُرضِيهِ
ليسَ يكفي الاميرَ ما قد كفى الراجي فيُعطيهِ فوقَ ما يرتجيهِ
ذاكَ يرجو بحَسْبِ مِقدارِهِ وَهوَ على قَدْرِ نفسهِ يُعطيهِ
يَفخَرُ الغيثُ اذ يُشَبَّهُ في الجُودِ بهِ مُنكِرًا على واصفيهِ
ذاكَ يجري بالماءِ حينًا وهذا بِنُضارٍ يَدُومُ للسائليهِ
مَن لزهرِ الرُبى بحُسنِ مُحيَّاهُ وزُهرُ النجومِ لا تَحكيهِ
يُطبَعُ السيفُ من مَضاءِ يديهِ وتُصاغُ الحُليُّ من لَفظِ فيهِ
يا عمادًا لدَولةٍ مَن تُصافيهِ تُصَفِّيهِ قبلَ ان تَصطفيهِ
أَنتَ مَن ينبغي لهُ الشِعرُ لكِنْ لكَ حَقٌّ ما كُلُّ شِعرٍ يَفيهِ

وقال في رسالةٍ بعث بها الى الامير بشير الشهابي بعد خروجهِ من جبل لبنان

طالَ شوقي لطُولِ هذا البعادِ فترَى هل لِذاكَ من ميعادِ
كُلَّما أَقبلَ الرجاءُ ثناهُ ألـ دَّهرُ عنَّا فكلُّنا في الطِرادِ
خمِدَت نارُ ذلكَ الحَيِّ ويلاهُ ومَن لي من جمرِها برَمادِ
واُستقرَّت تلك الأباطحُ من رَكضِ المطايا ومن صهيلِ الجيادِ
هكَذَا الدهرُ لا يَدُومُ ولو دامَ لَكُنَّا في عهدِ مَن قبلَ عادِ
وكما لا يدُومُ حالُ صلاحٍ عندَهُ لا يدومُ حالُ فسادِ
ليتَ هذا الزمانَ يَعرِفُ منا ما عرَفنا فيهتدي في انتقادِ
لم تُصِبنا أيدي العُداةِ بسهمٍ فرَمانا بأعينِ الحُسَّادِ
ايُّها الراحلُ الذي ضرَبَ الأطنابَ بينَ القلوبِ والأكبادِ
ما سمِعنا براحلٍ أَوحشَ الأحبابَ عِندَ ارتحالهِ والأعادي
رُبَّما أنكرَ العدَى منكَ أمرًا يَتَمَنَّونَ هل لهُ من معادِ
عَلِموا أَنَّ ذاكَ قد كانَ تأديبَ أبٍ فانثَنَوا عن الأحقادِ
ضاقَ ذَرعُ البِلادِ بعدَكَ حتى لا مُناخٌ لناقةٍ في البلادِ
فكأنَّ البلادَ جسمٌ بدُونِ الرُّوحِ او مقلةٌ بدُونِ السوادِ
أُوقِدَت يا كُلَيبُ بعدَكَ نارٌ سالَ منها في الحَيِّ قلبُ الجمادِ
واُنتضَى القومُ بعدَكم كُلَّ سيفٍ كانَ في عهدِ سيفِكُم كالنِجادِ

انما انتَ واحدٌ غيرَ أنّي لَستُ أُعطيكَ منزلَ الآحادِ
كُنتَ دهراً فبنتَ لم تغننا منكَ م ولا عنكَ كثرةُ الأعدادِ
لكَ خوفٌ لو صادفَ العينَ في الحُلم م لصارَت تخافُ طيبَ الرُقادِ
لم تحطَّ الأيّامُ منكَ سوى ما حطَّ بريُ المُدى من الأطوادِ
قدطلبنا إدراكَ شأوِكَ بالوصفِ م كصرحٍ بغاهُ ذو الأوتادِ
فبماذا يبالغونَ وهم لا يبلُغونَ الإنصافَ بعدَ الجهادِ
أنتَ بينَ الكرامِ دُرَّةُ تاجٍ وإزاءَ الخُطوبِ صخرةُ وادِ
وعلى الرَوضِ أنتَ زهرُ ربيعٍ وعلى الزهرِ أنتَ صوبُ عهادِ
تفخرُ الناسُ بالجدودِ ولكنْ أنتَ فخرُ الآباءِ والأجدادِ
وبكَ المنتمي يُباهي ولو بابنِ م أبيهِ يُدعى كمثلِ زيادِ
أنتَ اهلُ القريضِ تُنشَدُ منهُ كلَّ بيتٍ يهمُّ بالإنشادِ
يفخرُ الشعرُ عزَّةً بكَ حتى يستحي إنْ كتبتَهُ بالمدادِ
ليسَ يُثنى عليكَ ما جازان يُثنى م على من سواكَ بينَ العبادِ
كلُّ شعرٍ ثوبٌ على قدَرِ اللا بسِ كالثوبِ فصلَتهُ الأيادي

وقال في رسالةٍ الى ولدهِ الامير امين الشهابي

كلَّفتُ حَملَ تحيَّتي ريحَ الصبا فكأنني حمَّلتُها بعضَ الرُبى
لا تحمِلُ الريحُ الجبالَ وليتني كلَّفتُها حَملي فإنّي كالهبا

بَعُدَ المَزارُ فلا مَزارَ وطالما جَدَّ البِعادُ اذا رَجوتُ تَقرُّبا
دُونَ الأَحِبَّةِ بحرُ ماءٍ دُونَهُ للدمعِ بحرُ دمٍ أَبى أَنْ يركَبا
ولَقد مررتُ على الدِيارِ فهاجَني نَظَرٌ أَطَلْتُ لهُ الوقُوفَ تَعجُّبا
خاطَبتُها ارجو الجَوابَ فانها قد مازَجتْ مُهجَ الرِجالِ تصبُّبا
ما بالُ هذا الدَهرِ دامَ على النَوَى وعلى الوصالِ عَهدتُهُ متقلِّبا
هَيْهاتِ ما للدهرِ عَهدٌ صادقٌ فتَراهُ يُخلِفُ كاذبًا ومكَذِّبا
غَلَبَ البَلآءُ الصبرَ في غزَواتهِ وقدِ أُستجاشَ من الصبابةِ موْكبا
والصبرُ من هِمَمِ القلوب ولم يدَعْ خَطْبُ النَوَى للصبرِ قلبًا طيِّبا
قدأَجمدَتَ نُوَبُ الزمانِ قريحتي كَمَدًا وأَنْستَني الكَلامَ المُعرَبا
فنَسيتُ إِنشاءَ الرسائل كاتبًا ونَسيتُ أَنّي كاتبٌ مُنذُ الصِّبا
يا أَيُّها الشُهُبُ التي قد أَغرَبَتْ عنا ترَى هل تَلزَمينَ المَغرِبا
سيَّارةٌ لاتَثبتينَ فما لَنا مُذغِبتِ لم نرَ منكِ يومًا كوكبا
لا بُدَّ من يومٍ يجِدُّ لهُ بنا رأيٌ ولو لَعبَتْ بنا أَيدي سبَا
هيهاتِ لم يَمُتِ الزَمانُ وانما قد نامَ ثم يَهُبُّ معقودَ الحُبَى

وقال وقد بعث بها الى المعلم بطرس كرامة الشاعر المشهور

تلكَ أَيَّامُنا عليها السلامُ أَجفلَت من زَوالِها الأَيّامُ
أَوهمَتْنا طُولَ الحياة علينا بَعْدَها إِنَّ ساعةَ الصبرِ عامُ

يا خليليَّ لا تلوما فمن لا ... مَ بما لا ملامَ فيهِ يُلامُ
طالَ شوقٌ على فؤادٍ ضعيفٍ ... قبلَ شوقٍ ممَّا براهُ السقامُ
أسهرُ الليلَ والعيونُ نيامٌ ... كرقيبٍ في حيِّ قومٍ يُقامُ
إنَّ عيني بلُجَّةٍ من دموعي ... غرقت والغريقُ كيفَ ينامُ
يا بُريقَ الحمى نعمتَ صباحاً ... أينَ أهلُ الحمى وأينَ الخيامُ
هل اصابَ الحيا ربوعَ المُصلَّى ... وهلِ اخضرَّ بعدَ ذاكَ البشامُ
طالمَا راع قبلكَ الدهرُ ثغراً ... بدهاءٍ فلاحَ منهُ ابتسامُ
ولكم شبَّ في الزمانِ ضرامٌ ... ولكم شابَ في الزمانِ غلامُ
كلُّ حالٍ سينقضي ليسَ للدهرِ ... م دوامٌ وليس فيهِ دوامُ
ربَّما عاهدَ الفتى اليومَ لكنْ ... لم يعاهدْ غدًا فأينَ الذمامُ
حالَ عهدي ولم يحُلْ عهدُ ودّي ... بكرامٍ وهم عليَّ كرامُ
ذاكَ عقدٌ تناثرَ الدرُّ منهُ ... وعلى اللهِ بعدَ ذاكَ النظامُ
ايها الجيرةُ الذينَ تولَّوا ... هل لكم جيرةٌ سوانا ترامُ
حملَتْ من سلامنا لكمُ الريحُ ... م ولكنْ ضاعتْ وضاعَ السلامُ
عظُمَ الخطبُ فاقطعنا عن الكُتْبِ ... م فليستْ مما اقتضاهُ المقامُ
مشهدٌ يقصرُ القنا دونَ أدنا ... هُ فماذا تنالهُ الأقلامُ

وقال يمدح الشيخ محمد الحلواني مفتي مدينة بيروت

عَتَبَتْ سُعادُ ولم أَكُنْ بالمُذنبِ — وعرَفتُ عادتَها فلم أَتعتَّبِ
شِيَمُ الغواني ان تَدِلَّ اذا رأَت — صباًّ يَذِلُّ لها بقلبٍ طيّبِ
أَمرَتْ لواحظُها الفتَى فأَطاعها — وَدَعَت فلبى الشيخُ غيرَ مكذِّبِ
فتَّانةُ العينين يَسكَرُ طرْفُها — وأَنا أُحَـدُّ وها انا لم أَشرَبِ
سالَتْ ذوائبُها ولاحَ جبينُها — فرأَيتُ بدراً حلَّ بُرجَ العقرَبِ
وتكلَّمتْ وتبسَّمَت لمَّا رَأَت — دمعي فتلكَ لآلئٌ لم تُثقَبِ
قد كُنتُ أَطمَعُ في المَوَدَّةِ عندَها — فاذا مَوَدَّتُها كبَرْقٍ خُلَّبِ
ومَوَدَّةُ الحَسناءِ ضَيفٌ راحلٌ — ميعادُهُ لثلثةٍ او أَقرَبِ
ذُقتُ الصبابةَ في الشَبيبةِ أَمرَداً — واليومَ شبتُ فهل تَليقُ بأَشيَبِ
كلٌّ يَعافُ العيبَ فيه فلو دَرَى — عيباً بهِ لم تَلقَ غيرَ مُهذَّبِ
ولَقدعرَكتُ الدهرَأَطلُبُ حِكمَةً — فأَفادَني والدهرُ خيرُ مؤدِّبِ
تُعطِي التجاربُ حكمَةً لمجرِّبٍ — حتَّى تربِّي فوقَ تربيةِ الأَبِ
ولقد تأَمَّلتُ الزمانَ وحُكمَهُ — فبُليتُ منهُ بعُجمةٍ لم تُعرَبِ
عارٌ عليَّ وشيخُنا المفتي لهُ — رأْيٌ يخلِّصُ بينَ بَكْرَ وتَغلِبِ
هوَ كوكبٌ في الشرقِ يسطَعُ نورُهُ — ويلوحُ فضلُ شُعاعهِ في المَغرِبِ
يجلو الخُطوبَ وينجلي لكَ وَجهُهُ — فتَراهُ في الحالينِ افضلَ كوكبِ
حَسَنُ الإِصابةِ عندَ كلِّ مُلِمَّةٍ — بادي البَشاشةِ عندَ سخطِ المُغضَبِ

مُتَواضِعٌ لجليسهِ من لُطفهِ	حتى كأَنَّ جليسَهُ ذو المَنصِبِ
رَيَّانُ من كأْسِ الحقيقةِ لم يَدَعْ	الا ثُمالَتَهــا التي لم تُطلَبِ
لم يعشقِ الدُنيا فلم يَجْزَعْ اذا	ولَّت وإِنْ هيَ أَقبَلَتْ لم يطرَبِ
هانَ الزمانُ عليهِ لا متَعجِّبٌ	مما يرَى فيهِ وليسَ بمُعجِبِ
وَسِعَ العلومَ بجانبٍ من صَدرِهِ	رَحْبٍ وللعملِ اُستعَدَّ بأَرحبِ
أَحصى من الكُتُبِ الذي كَتَبُوا لنا	فيها وزادَ عليهِ ما لم يُكتَبِ
يجني فوائدَهُ الحكيمُ كغيرِهِ	وتُفيدُ فَتواهُ شُيوخَ المَذهَبِ
يا مَن اذا اُتَّسعَ القريضُ بذِكرِهِ	ضَغَطَ الأَعاريضَ اقتحامُ الأَضرُبِ
تزهو قوافينا لَدَيكَ سليمــةً	ويُعابُ بالتقصيرِ قولُ المُطنِبِ
غَمَضَتْ صفاتُكَ يامحمَّدُ دِقةً	فتحجَّبَتْ وبَرَزْتَ غيرَ محجَّبِ
ان كُنتَ تَبغِي مَن يَقُومُ بحقِّها	فاَطلُبْ سِوايَ وقُل عذَرتُكَ فاذهَبِ

وقال يمدح الشيخ احمد الغرّ نائب بيروت سابقاً

ان كانَ يُلبَسُ ما أَفادَ تَجمُّلا	فبَياضُ هذا الجيدِ تلبَسُهُ الحِلَى
واذا تَزيَّنَتِ العيونُ بكُحلها	فلَقَد نَراهُ بمُقلتَيكَ تكحَّلا
يا ناحلَ الأَعطافِ معشوقاً تُرَى	أَتَلُومُ مثْلي عاشقاً أَنْ يَنْحَلا
أَعدَدتَ لي حربَ البَسُوسِ ولم اكُنْ	أَعدَدتُ دُونَكَ في القتــالِ مُهلهِلا
حاوَلتَ سَفْكَ دَمي بعينِكَ ثانياً	هيهاتِ قد سفَكَتهُ عيني أَوَّلا

وَنَهبتَ قلباً ليسَ فيهِ سِوَى الهوَى　　　وسَلَبتَ جسماً ما عليهِ سِوَى البلَى
خُذْ ما أَرَدتَ سِوَى أَغرَّ مُحجَّلٍ　　　أَلقَى بهِ الشيخَ الأَغرَّ مُحجَّلا
وأَرَى لطائفَهُ التي نَهَبَتْ بها ال　　　شُعَرَاءُ أَبياتَ القريضِ تغزُّلا
العالمُ الصَدرُ الكبيرُ العاملُ أُل　　　بدرُ المُنيرُ اللامعُ السامي العُلَى
اقوالُهُ دُرَرٌ تُقلِّدُها النُهَى　　　وفعالُهُ غُرَرٌ تُقلِّدُها الطُلَى
أَجرَى من البحر العَرَمْرَمِ لُجَّةً　　　وأَلَذُّ من سلسالِ دِجلةَ مَنْهَلا
وأَشَدُّ من زَهرِ الحدائقِ نَضْرةً　　　وأَجلُّ من زُهرِ الكواكبِ منزِلا
يمشي وقد كَثُرَ الوُقوفُ أَمامَهُ　　　فَرْداً يجرُّ من المَهابةِ جحفَلا
واذا أَشارَ الى الكَتِيبةِ أَجفلت　　　فكأَنَّ من سُمرِ الذوابلِ أُنْمُلا
هوَ يَشغلُ الأَقلامَ وَهيَ بوصفهِ　　　في الناسِ قد شُغِلَت فكانت أَشغَلا
تَتَنازَعُ الشعراءُ فضلةَ شعرِهِ　　　في مدحِهِ وتَخافُ أَنْ لا يفضُلا
طَفَحت عليَّ صفاتُ أَحمدَ مرَّةً　　　فَلَحِقْتُ منها عارضاً مُستقبِلا
واخترْتُ إِجمالَ الثَنَاءِ لأَنَّني　　　أَلفيتُهُ لا يُستطاعُ مفصَّلا

وقال على لسان رجلٍ يهنئ بعض رجال الدولة معرِّضاً بذكر اغراضٍ لهُ

لكَ الهَنَاءُ بما أُوتيتَ مُعتذِراً　　　قد قلَّ مبلَغُ ما تُعطَى وإِنْ كَثُرا
اذا هَنئتَ بأَمرٍ عزَّ جانبُهُ　　　فانهُ بكَ أَهنَى فهوَ قد ظَفِرا
للهِ شمسُ جمالٍ أَدرَكَتْ قمراً　　　والشمسُ لا ينبغي أَن تُدرِكَ القمرا

أَحلَّها الأَسَدُ الميمونُ طالعهُ ... بُرجاً له فأُكتِسَتْ من سعدهِ حِبَرا
يا قاسِمَ اللِمَمِ الشعثاءِ يومَ وَغًى ... وقاسمَ النِعَمِ البيضاءِ يومَ قِرَى
انتَ الكريمُ الذي طالَتْ مواهبهُ ... على العفاةِ ولكن وَعدُهُ قَصُرا
القائلُ القولَ مثلَ الفعلِ عن ثقةٍ ... والفاعلُ الفعلَ مثلَ القولِ قد يَسُرا
ذَلَّت لديكَ صعابُ الأَمرِ صاغرةً ... فما اُعتِذارُكَ ان لا تركَبَ الخَطَرا
قد علَّمَتْنَا الليالي الصبرَ من قِدَمٍ ... وجئتَنا فكَفَيْتَ الصابرَ الضجَرَا
رُكنٌ اليهِ التجى الراجي فكانَ لهُ ... حصناً ولم يضَعِ الباني بهِ حَجَرا
أَلزمتَ نفسكَ نفعَ الناسِ مجتهداً ... حتى توَهّمتَ أَنْ لا تعرِفَ الضَرَرا
تَقضي الحوائجَ مسروراً كصاحبها ... كُلٌّ يُسَرُّ بما يهواهُ كيفَ جَرَى
ما خابَ منكَ ولا فيكَ الرجآءُ فقد ... نِلتَ الأَماني ونِلنا عندكَ الوَطَرا
اذا دعا لكَ داعينا فذاكَ لهُ ... يدعو فلا فضلَ للداعي اذا اُعتَبَرا

وقال في رسالة الى بعض اصحابه العلماءِ

قِفْ بينَ رَيحانِ العقيقِ وضالهِ ... وقُلِ السلامُ على العقيقِ وآلهِ
وقُلِ السلامُ على المنازلِ من فتًى ... لم يبقَ غيرُ سلامهِ وسؤالهِ
ربعٌ وقفتُ مناديًا أَطلالَهُ ... فبَليتُ حتى صرتُ من أَطلالهِ
قد كانَ لي صبرٌ كبعضِ سُهولهِ ... واليومَ لي شوقٌ كبعضِ جبالهِ
لا تُنكِروا سَلْبَ الحبيبِ حُشاشتي ... ماذا على متصرِّفٍ في مالهِ

رَكِبَ النوَى فحُرِمتُ نَظرةَ وجهِهِ ... ونفَى الكرَى فحُرِمتُ طَيفَ خيالِهِ
من كانَ يهوَى الغانياتِ فإنَّني ... أهوَى الذي لَيستْ تمرُّ ببالِهِ
الخائضَ الغمَراتِ لم تَبْلُلْ لهُ ... قدَمًا ولم تقطَعْ شِراكَ نعالِهِ
سبَّاقُ غاياتٍ ينالُ بفعلهِ ... ما لا ينالُ سِواهُ في آمالِهِ
البَرُّ بينَ لِسانهِ وفُؤادِهِ ... والبحرُ بينَ يمينهِ وشمالِهِ
متَأخِّرٌ في عصرِهِ متقدِّمٌ ... في فضلهِ متفرِّدٌ في حالِهِ
ليسَ التفاوُتُ في الزَمانِ وانما ... يَقَعُ التفاوُتُ فيهِ بينَ رجالِهِ
بيني وبينكَ بحرُ ماءٍ زاخرٌ ... يا بحرَ علمٍ فاقهُ بزُلالِهِ
تبدو الجواهرُ منكَ بارزةً لنا ... فوقَ الذي قد زُجَّ في أقفالِهِ
عَجَبًا لهُ لم يَحْلُ لَمَّا خُضتَهُ ... إنَّ اللئيمَ مولَّعٌ بخصالِهِ
قد ضمَّ منك الفُلكُ أفنانًا كما ... ضَمَّتْ سفينةُ نوحَ من أجيالِهِ
شِيَمُ الليالي أَن تُباعدَ صاحبًا ... حتى يكونَ زوالُها كزوالِهِ
هيَ كالهَبَآءِ فماسكٌ بحِبالها ... تحتَ الرَجآءِ كماسكٍ بحِبالِهِ
من كانَ يَعرِفُ مامَضَى من دهرِهِ ... أغناهُ عن مُستقبلٍ بمثالِهِ
يومٌ يمرُّ كأَمسهِ بغرورِهِ ... وَغدٌ يمرُّ كيومِهِ بمِحالِهِ
يا مَنْ يُودِّعُ راحلاً لفِراقِهِ ... أتُرَى رَجوتَ تحيَّةً لوِصالِهِ
هذا اليسيرُ منَ الفِراقِ وانما ... ستَرَى فراقًا ليسَ من أشكالِهِ

وقال في عزيز قد توفي

يَبلَى الحبيبُ وحزنُهُ يتجدَّدُ ... فكأنَّهُ في كُلِّ يومٍ يُفقَدُ
ان كانَ قد امسى بعيدًا نازحًا ... عني فإِنَّ سُلوَّ قلبي أَبعَدُ
هم يذكُرونَ من الكريمِ فضيلةً ... وأَنا أُعدُّ النَجمَ حينَ أُعدِّدُ
تلكَ السجايا البيضُ عندَ محُبِّها ... مما يَليقُ بهِ اللباسُ الأَسوَدُ
ويحي متى أَنسى الذي طرَدَ الكرَى ... وخيالُهُ عن مُقلتي لا يُطرَدُ
ناديتُهُ فأَجابَ سائلُ أَدمعي ... والدمعُ أَجرى بالجوابِ وأَجوَدُ
ياراحلاً رَحلَ اُصطبِاري بعدهُ ... هل بيننَا قبلَ القيامةِ موعدُ
إِنْ كُنتَ لم تَسمعْ نُواحي في الحِمَى ... فعَلَى ضَريحِكَ أَلفُ دمعٍ يَشهَدُ

وقال يمتدح السيّد عُمَر الانسي الشاعر

دَعْ ذِكرَ باناتِ العَلَمْ ... والنازلاتِ بذي سَلَمْ
جدَّ المشيبُ فلا تَدَعْ ... ذاكَ القديمَ على القِدَمْ
للدهرِ حكمٌ في الوَرَى ... فأَطعهُ واُرضَ بما حَكَمْ
واُصبرْ والاَّ فالضنَى ... واُفكُرْ والاَّ فالندَمْ
واُعملْ بعِلمكَ إِنَّهُ ... من دُونِ ذلكَ كالعدَمْ
واذا سكَتَّ فعن رِضًى ... واذا نَطَقتَ فبالحِكَمْ
واذا سأَلتَ فلا تزِد ... واذا سُئلتَ فقُلْ نعمْ

واذا أَرَدتَ قصيـدةً　　نَبِّهْ لها عُمَرًا وَنَمْ
الشاعرُ العَرَبِيُّ ذو آل　　غُرَرِ التي سَبَتِ العجَمْ
عَلَمٌ هُوَ الهادي الرفيعُ　　فكيفَ شئتَ هو العَلَمْ
في المَكْرُماتِ لهُ يدٌ　　والى الصوابِ لهُ قَدَمْ
ولهُ مَناقِبُ لا تُنَا　　لُ كأَنها صيدُ الحَرَمْ
يا مَن شمائلُ لُطفهِ　　نَسَمٌ بها تَحْيا النَسَمْ
آياتُ حَقٍّ أُنزِلَتْ　　ما بينَ نُونكَ والقَلَمْ
أَعجزتَني عن حَصرِها　　فأَضعتُ فَذْلكَةَ الرَقَمْ

وقال في رسالةٍ بعث بها الى حسن افندي الطرابلسي الشاعر بالقاهرة

طَيفٌ بلُبنانَ من مِصرٍ اليَّ سَرَى　　حتى اذا أَنِسَت عيني به نَفَرا
وَلَّى يَشُقُّ أَديمَ الليلِ مُعتَسِفاً　　فما عرَفتُ لهُ عيناً ولا أَثَرا
يا مُرسِلَ الطيفِ لو علَّمتَهُ كَرَماً　　أُنسَ اللقآءِ كما علَّمتَني السهَرا
وكيفَ يأنسُ ضَيفٌ حيثُ ليسَ لهُ　　الاّ سخينةَ دمعٍ في الظَلامِ قِرَى
ما أَنصَفَتْنا الليالي الغادراتُ بنا　　دَجَتْ علينا ولم تترُكْ لنا القَمَرا
دآءٌ نُعالجُهُ بالصبرِ وَهْوَ لنـا　　دآءٌ وكم عِلَلٍ قد أَبرأَتْ أُخَرا
غابَ الحبيبُ فغابَ الأُنسُ عن فِئةٍ　　خيالُهُ في سُوَيداواتِها حَضَرا
ان كانَ قد عزَمَ الأَسفارَ مُغترِباً　　فإِنَّ اشواقَنا لا تَعرِفُ السفَرا

غالَ النوَى عهدَ من تجلو لطائفُهُ ... سِحْرَ البيانِ ويجلو وجهُهُ السَحَرا
عرَفتُ فيهِ قصوري واعترفتُ بهِ ... فما أُبرّئُ نفسي منهُ مُعتذِرا
يا أيُّها الحَسَنُ الميمونُ طالعُهُ ... احسنتَ حتى ملأتَ السمعَ والبَصَرا
أحضرتَ في سَفَرٍ ما غابَ من حَضَرٍ ... من فاتَهُ منكَ خَبرٌ أدرَكَ الخَبَرا
ما زلتَ تجلو علينا كُلَّ قافيةٍ ... قد شبَّبَتْ بمعاني حُسنها الشُعَرا
يهزُّكَ الشعرُ إنشادًا فنحنُ بهِ ... نَغُوصُ في البحر حتى نجتني الدُرَرا
هذه رسالةُ مشتاقٍ تُذَكِّرُكم ... عهدًا قديمًا عساهُ قبلَها ذُكِرا
ظمآنُ يحلو اذا اشتدَّ الظمآءُ لهُ ... مآءٌ ولكنَّ في إفراطِهِ خطَرا

وقال وقد بعث بها الى احد اصحابهِ العلمآءِ في المغرب

شوقي اليك كما علمتَ طويلُ ... ولَعَلَّ صبري في هواكَ جميلُ
يا غائبًا في القلبِ يحضُرُ شخصُهُ ... فكأنَّهُ لي منكَ عنكَ بديلُ
بَعُدَ المزارُ على ضعيفٍ قاصرٍ ... هذا الكتابُ اليكَ عنهُ وكيلُ
ان كُنتَ تُنكِرُ لوعةً بفؤادهِ ... فلهُ شهودٌ من ضَناهُ عدولُ
حالت مَوامي الأرضِ دُونكَ بالنوَى ... ولطالما دُونَ البُدورِ تحُولُ
ورأيتُ شخصكَ في البِعادِ فانهُ ... قَمَرٌ نراهُ وما اليهِ وُصولُ
يا دُرَّةَ الغوَّاصِ دُونَ لقآئِها ... لُجَجٌ فَدَيتُكَ هل اليكَ سبيلُ
نَثَرَتْ صروفُ الدهرِ عقدَ نظامنا ... فنثرتُ دمعي وهو فيكَ قليلُ

شَطرُ الفُؤادِ حبيبهُ فاذا نأَـــى نهكَ الفُؤاد فظَلَّ منه قتيلُ
طال انتظاري والحَياةُ قصيرةٌ وكلاهما سببٌ عليَّ ثقيلُ
ويلاهُ قد ضاعَ الزَمانُ فساقطٌ يومٌ يمرُّ ولا يراكَ خليلُ
رُكنُ الحياةِ نعيمُها ان لم يكن في العَيشِ طيبٌ فالحياةُ فُضولُ
بأَبي المريضُ السالمُ الشَرَفِ الذي يَشتاقُ عودةَ مثلهِ جبريلُ
مَن ليسَ يرغَبُ في سلامةِ نفسهِ ان كانَ لم يَسلَمْ لديهِ جميلُ
يا ناحلَ البَدَنِ العليلِ بلُطفهِ لا صحَّتِ الدُنيا وأَنتَ عليلُ
يا ليتَ عندي صحةً تُفدَى بها لكن عليَّ منَ الفراقِ نحُولُ
سيزُولُ سُقمٌ مثلَ عافيةٍ مَضَتْ اذ كلُّ ما تحتَ السماءِ يزُولُ
هذا الخُسوفُ عراكَ يا بدرَ الدُجَى ونرَى خُسوفَ البدرِ ليس يطولُ

وقال يجيب فتًى من اصحابهِ عن قصيدةٍ ارسلها اليهِ

وَرَدَ الكتابُ فضاعَ طيّبُ نَشرهِ وطَربتُ قبلَ نظامهِ من نثرهِ
أَحيـا بزورتهِ الفُؤادَ كأنما في كلّ سطرٍ وجهُ كاتبِ سطرهِ
شَخَصَتْ لهُ ابصارُ عينِ محبّهِ حتى كأَنَّ سَوادَها من حبرهِ
وتذكّرَ العهدَ القديمَ متيّمٌ لقِيَ الجِنايةَ والجَنى من ذكرهِ
يا مَن يطارحُني القريضَ فكاهةً هيهاتِ قد ذهَبَ القريضُ بعصرهِ
والشعرُ من أَرَبِ الصَباءِ واين لي أَسَفًا ومَن لي بالصباءِ وشعرهِ

غَلَبَ المَشيبُ على الشَبابِ بأَبيضٍ ذَلِقٍ فصارَ سَوادُهُ في أَسْرِهِ
ضَيفٌ على رأسي حملتُ ثقيلَهُ وقَرَيتهُ طيبَ الحياةِ بأَسرِهِ
ولقد عَجِبتُ لمادحٍ لم يَهجُني كَرَمُ الطبيعةِ كانَ آيةَ عُذرِهِ
أَمسى يَشُقُّ عليَّ تسليمٌ لهُ ويَشُقُّ إنكارٌ لرِفعةِ قدرِهِ
خَبَرٌ تداوَلَهُ الرُواةُ فأَكبروا وهوَ الصغيرُ اذا هممتَ بخُبْرِهِ
لا تُعطِ حُكمَكَ ما بدا لكَ أَمرُهُ حتى تقومَ على حقيقةِ أَمرِهِ
خيرُ الكلامِ كلامُ صِدقٍ نافعٌ وأَجلُّهُ في الشعرِ فهْوَ كذُخرِهِ
من ضاعَ اكثرُ شعرِهِ في باطلٍ فكأَنما قد ضاعَ اكثرُ عُمرِهِ
مرَّتْ بناصيتي الخُطوبُ فراعها جَلَدي وروَّعني الزَمانُ بمكرِهِ
ولَرُبَّما سَلِمَ الفتى مما دَرَى ورَمتهُ داهيةٌ بما لم يدرِهِ
ولَرُبَّ أَشيَبَ في الكُهولةِ غافلٌ ولَرُبَّ أمرَدَ عاقلٌ في صِغْرِهِ
هيهاتِ ما قلبُ الفتى في سِنّهِ أبدًا ولكنْ قلبُهُ في صدرِهِ
يا مَن رَضَعتَ الحلمَ من أَفواقهِ ورَبِيتَ في مَهدِ الكمالِ وحَجْرِهِ
قد نلتَ ما مُنِعَ الكثيرُ وطالما فَضَلَت ليالي الدهرِ ليلةُ قَدْرِهِ
والناسُ منهم كاسبٌ قدغاصَ في خيرِ الزَمانِ وخاسرٌ في شرّهِ
فاذا اعتبرتَ الجانبَينِ كِلَيهما أقصرتَ عن شكوَى الزَمانِ وشكرِهِ

وقال في مثل ذلك

مدامعُ جَفنِ الصبِّ إحدى الفواضحِ فيا لَكَ سِرًّا واقفـاً تحتَ بائحِ
ومَن كانَ منا ليسَ يملِكُ قلبَهُ أَيَملْكُ دمعاً سافحاً إثْرَ طافحِ
وقَفنا على وادي الغَضا وغُصونُهُ تكادُ لوَجْدي تَلتظي من جوانِحي
نرى كِلَلَ الأَظعانِ بينَ ضُلوعنا ونَسأَلُ عنها كُلَّ غادٍ ورائحِ
لكلِّ مُحِبٍّ في هواهُ سَجيَّةٌ ولكنَّ ما كُلُّ السجايا بصالحِ
وأَعدَلُ اهلِ الحُبِّ من ليس يلتجي الى بسطِ عُذْرٍ في مُلاقاةِ ناصحِ
هَوِيتُ الذي أَعطى العلومَ فُؤادَهُ فأَعطَتْهُ منها سانحاً بعدَ بارحِ
تيمَّنتُ باُسم الخِضْرِ فيهِ وطالما تَرَى المرءَ لا يخلو اُسمُهُ من لوائحِ
وَجَدْتُ بهِ بل منهُ مُتعةَ سامعٍ ويا حبَّذا لو نلتُ رؤيةَ لامحِ
بهِ حَسَدَتْ عيناي اُذني وربَّما تخصَّص بالاقبال بعضُ الجوارحِ
لَعُوبٌ باطراف الكلام على الصِبا رأَيتُ بهِ الممدوحَ في ثوبِ مادحِ
وهيهاتِ ليسَ السِنُّ مانحةَ النُهَى لمن قلبُهُ بالطبع ليسَ بمانحِ
اذا تَمَّ فاقَ الشمسَ في غُرَّة الضُحَى هلالٌ يفوقُ البدرَ في سعدِ ذابحِ
لكلِّ حديثٍ في الزَمانِ خواتمٌ تَدُلُّ عليها مُحكَماتُ الفواتحِ

وقال في رسالةٍ بعث بها الى بعض المشايخ العلماء مشيرًا الى اغراضٍ في نفسهِ

طَيفٌ الَيَّ سَرى عن غيرِ ميعادِ يَشُقُّ لُبنانَ من اكنافِ بَغدادِ

تحمَّلتهُ رِكابُ الشوقِ طائرةً · بهِ فسارَ بلا ماءٍ ولا زادِ
طيفُ الذي تملأُ الأقطارَ شهرتهُ · كأنَّما كلُّ دِيوانٍ لهُ نادِ
إن تحرَمِ العينُ مرآهُ فقد رُزقت · حديثهُ الأُذْنُ مرفوعاً بإسنادِ
رَبُّ القوافي التي نهتزُّ من عَجَبٍ · لها فتهتزُّ عُجباً عندَ إنشادِ
من كلِّ حاضرةِ الأَلطافِ باديةٍ · تبختَرَتْ بينَ أَسبابٍ وأَوتادِ
العالِمُ العاملُ الميمونُ طائرُهُ · قُطبُ العراقَينِ في جمعٍ وإِفرادِ
لهُ الكلامُ فإِن نبسُطْ اليهِ يداً · فقد جنَينا على ميراثِ أَجدادِ
تهوي الى الشعرِ من جهلٍ مطامعُنا · والشعرُ كنزٌ منيعٌ تحتَ أَرصادِ
بحرٌ يجيءُ بدُرٍّ من جوانبهِ · بعضٌ وبعضٌ بأَصدافٍ وأَعوادِ
قد عزَّ عن حكماءِ العصرِ مطلبهُ · وكانَ أَيسرَ مطلوبٍ على الحادي
شابَ الزمانُ فشابت فيهِ همّتُنا · وذُلّلَت جمرةُ الدنيا بإِخمادِ
قد قلَّلَ الجهلُ قدرَ العلمِ وا أَسفا · فقلَّ مقدارُهُ من بينِ اكبادِ
هيهاتِ ذلكَ من عزمِ الرُّعاةِ فهم · بينَ الرعيَّةِ أَرواحٌ لأَجسادِ
والأَمرُ ان لم يقُمْ بالرأسِ معتضداً · لم يَستقِلَّ بأَكتافٍ وأَعضادِ
يا طالما سهِرَتْ عينٌ على كُتُبٍ · كانَتْ تخافُ عليها عينَ حُسَّادِ
قد ضاعَ ما كتَبَ الأَقوامُ واجتهدوا · وما لِمَنْ قد أَضلَّ اللهُ من هادِ
لا ينجحُ العِلمُ حيثُ المالُ منتجعٌ · هيهاتِ ما العلمُ الا خُلقُ زُهَّادِ
والمرءُ بالعِلمِ إِنسانٌ يسودُ بهِ · حيّاً وميتاً فذاكَ الرائحُ الغادي

بِضاعةٌ عندَ اهلِ الفضلِ رائجةٌ وإِنْ رَماها ذَوُو بخسٍ بإِ كسادِ
مَن كانَ يُرضِي كِرامَ الناسِ في خُلُقٍ فحبَّذا سُخُطُ أَوباشٍ وأَوغـادِ
يا رافعاً رايةَ العِلمِ التي انتشرَتْ بفضلهِ فوقَ أَغوارٍ وأَنجـادِ
اليكَ تُزجى مطايا المدحِ مُثقَلةً وهل نُقابِلُ أَحمـالٌ بأَطوادِ
هذه رسـالةُ داعٍ يستجيرُ لها من أَن تمُدَّ اليها طَرْفَ نَقَّادِ
ماذا تقومُ رِمالٌ في الكثيبِ لَدَى مَن لا نقومُ لديهِ صَخْرةُ الوادي
فإِنْ أَجبتَ فما حقُّ الجَوابِ لها لكن ليظهرَ فَرْقٌ بينَ أَضدادِ

وقال يهنئ غائباً من زُهّاد العلماء بعودتهِ من سفرٍ بعيد

المالُ يفرقُ بينَ الأُمِّ والوَلَدِ فذاكَ أَدنى نسيبٍ عندَ كلِّ يدِ
عهدي بهِ خادماً كالعبدِ نملِكُهُ فما لعيني تَراهُ سيّدَ البَلَدِ
مالٌ يميلُ اليهِ المرْءُ من صغرٍ وكلَّما شبَّ شَبَّ الحُبُّ في الكَبدِ
لو يجمعُ اللهُ ما في الارض قاطبةً عندَ أمرئٍ لم يقُلْ حسبي فلا تزدِ
كلٌّ يروحُ من الدُنيا الغرُورِ كما أَتى بلا عَدَدٍ منها ولا عُدَدِ
لو كانَ يأْخُذُ شيئاً قبلَنا أَحدٌ لم يبقَ شيءٌ لنا من سالفِ الأَمَدِ
غشاوةٌ في عيونِ الناسِ محُكمةٌ تُفني العُيونَ ولا تَفنى الى الأَبَدِ
عَلَتْ على كلِّ عالٍ في معارجهِ ما لم يَكُنْ من رجالِ اللهِ أَهلِ غدِ
ايَّاكَ أَعني حماكَ اللهُ من رَجُلٍ نَراهُ في أَرضِنا كالرُّوحِ في الجسدِ

نلتَ الكمالَ الى ما فوقَ غايتنا ... فلا ينالُكَ منا طَوْرُ مجتهدِ
القائلُ الحقَّ تحتَ السيفِ مشتهرًا ... والفاعلُ الخيرَ تحتَ البُغضِ والحَسَدِ
خُلقٌ طُبِعتَ عليهِ لا تَمُنُّ بهِ ... فلو أَرَدتَ سبيلاً عنهُ لم تجِدِ
من مغرِبِ الارضِ نجمٌ زانَ مشرقَها ... تَفيضُ انواؤُهُ بالدُّرِّ لا البَرَدِ
مَشَى على كبِدِ الدُّنيا فما عرَفتْ ... سيَّارَةَ الأَرضِ من سيَّارةِ الجَلَدِ
فردٌ يقُومُ على ساقٍ بما عَجَزَتْ ... عنهُ الجموعُ ولو قامتْ على عُمُدِ
لا يُعجِبِ العَدَدُ الوافي بكثرتهِ ... فرُبَّما غَلَبَتْهُ كثرةُ المَدَدِ
أَهلاً ببدرٍ تجلَّى بعدَ مغربِهِ ... عَنّا وأَشرَقَ بعدَ الخسفِ والكَمَدِ
حَسِبتُ مرآهُ حُلماً بعدَ عودتِهِ ... فطالمَا زارَ في حُلمٍ ولم يعُدِ

وقال يجيب الامير حيدر رسلان عن ابياتٍ ارسلها اليهِ

القلبُ بينَ الصحبِ أَعدلُ شاهدٍ ... يُرضَى وان كانت شهادةَ واحدِ
واذا أُتّهِمتَ امينَ قلبكَ مرَّةً ... وطلَبتَ مؤتمَناً فلستَ بِواجِدِ
نظرُ القلوبِ الى القلوبِ أَصحُّ من ... لحظاتِ عينٍ للوُجوهِ رواصدِ
ولقدْ يرى في البُعدِ قلبُ محقّقٍ ... ما لا ترَى في القُربِ عينُ مشاهدِ
واذا بَدَتْ للناسِ معذِرةُ الفتَى ... أَغنتْهُ عن بَسطِ اعتذارِ عامدِ
يحتالُ في عُذرِ الصديقِ صديقُهُ ... أَيَعافُ منهُ قبُولَ عُذرٍ واردِ
عَبِثَتْ بنا الأَيّامُ وهيَ بليّةٌ ... عُظمى وأَعظمُها شِفاءُ الحاسدِ

وإذا رَجَوتَ منَ الزمانِ سلامةً فهيَ الصلاحُ رَجوتَهُ من فاسدِ
مَنْ عاشَ في الدُّنيا رأَى في يقظةٍ ما لا ترَى في الحُلمِ عينُ الراقدِ
يَرِدُ الشقآءُ منَ النَعيمِ وانما ليسَ الشقآءُ ولا النعيمُ بخالدِ
إنّي على العهدِ القديمِ فلم تَحُلْ تلكَ العُهودُ على حُؤُولِ معاهَدِ
هَيهاتِ لا يَبقَى على متُقارِبٍ مَن كانَ لا يَبقَى على متُباعِدِ
عهدٌ قديمٌ قد تداوَلْنا بهِ حقَّ الوِراثةِ والدًا عن والدِ
ولَرُبَّما سَمَحَ الكريمُ بطارفٍ من مالهِ عفوًا وضَنَّ بتالدِ
ورِسالةٍ أَنِسَ الفُؤاد بوفدها أُنْسَ المريض الى الطبيب الوافدِ
عطَفَت على قلبي الكليمِ فحبَّذا صِلَةٌ تلقَّتْني بأَكرمِ عائدِ
جاءَت بطِيبِ تحيَّةٍ أَشهى لنا نحنُ العطاشَ منَ الزُلالِ البارِدِ
تَختالُ بين دقائقٍ ورَقائقٍ وتَميسُ تحتَ قَلائدٍ وفرائدِ
جلَتِ العتابَ على قَطيعةِ هاجرٍ ولَعلَّ في الهِجرانِ بعضَ فوائدِ
لو لم يكُنْ سَبَبٌ لِعتبٍ لم يكن سَبَبٌ لوَفْدِ رسائلٍ وقصائدِ
هذه بِضاعتُنا التي ما مثِلُها في سُوقِ تاجِرِها الخَبيرِ بكاسدِ
كَلِماتُ صِدقٍ في البَيانِ تصرَّفَت من بعضِ أَبنيةِ الضميرِ الجامدِ
قد جدَّدَت عقْدَ الوَلآءِ وإِنَّهُ يَبقَى فيَلزَمُ بعدَ موتِ العاقدِ
تلكَ السريرةُ عُمدةٌ مطلوبةٌ والغيرُ معَها فضلةٌ كالزائدِ

وقال وقد حضر بعض اصحابهِ من انطاكية طالباً دمشق

لا يَلزَمُ القَمرُ المُنيرُ المَشرِقا　　فأَتَى وكانَ يُضِيءُ من قبلِ اللقا
قد رامَ حِلَقَ في النُزُولِ فمن يرِدْ　　عَدَدَ البُروجِ يعدُّ منها حِلَقا
ياطالمَا كُنَّا نراهُ توَهُّماً　　حتى رأَينا شخصَهُ متُحقِّقا
كِدْنا نَذُوبُ تَشَوُّقاً لجَلالهِ　　من بعدِ ما كِدْنا نَذُوبُ تَشوُّقا
فضَحَ السَماعَ بهِ العِيانُ بأَنهُ　　أَوفَى ولكنْ لم نَجِدْهُ أَصدَقا
قَصُرَ الرُواةُ بوَصفِهِ فعذَرتُهُمْ　　كيلا يَقُولوا صِفْهُ أَنتَ مُدَقِّقا
أَهلاً بأَكرَمِ قادمٍ قد رَدَّ لي　　قلبي الذي قد كانَ معهُ مُوثَقا
مَلَكَ الفُؤادَ يَسيرُ تحتَ لِوائهِ　　فانا لذاكَ أَخافُ أَن نَتفَرَّقا

وقال وقد اقترحها عليهِ ابرهيم افندي رئيس الاطباء في بيروت كاتباً بها الى اسمعيل افندي رئيس الاطباء في القسطنطينية

ماذا لَقيتُ منَ الحبيبِ وحبِّهِ　　الا تَلاعُبَهُ بمُهجةِ صَبِّهِ
أَغراهُ ذُلِّي بالدَلالِ وزادَهُ　　عُجباً فعلَّمَني صِناعةَ عُجبِهِ
يا أَيُّها الرَشَأُ المُدِلُّ بعينهِ　　لاَ تَفتِنِ الرَّجُلَ المُدِلَّ بقلبهِ
كَثُرَتْ لَعَمْري في هَواكَ ذُنوبُهُ　　لكنْ اليهِ كانَ أَكثرُ ذَنْبِهِ
مَن طالَ عن مَلَلِ الأَحبَّةِ عَتْبُهُ　　طالَ العتابُ لنفسِهِ عن عَتْبِهِ
دآءٌ دخيلٌ ليسَ يُرجى بُرْؤُهُ　　لَو أَنَّ إِسمعيلَ قامَ بطِبِّهِ

مِن ذلكَ الشيخِ الرئيسِ ولفظِهِ   شيخٌ على الشيخِ الرئيسِ وكُتْبِهِ
رَوَّى فخلنا عَضْبَهُ من ذِهنهِ   وَرَوى فخيلَ لسانُهُ من عَضْبِهِ
هذا الحكيمُ الكاملُ الفَرْدُ الذي   مُزِجَت بحكمتهِ مخافةُ ربِّهِ
لَزِمَ المدارسَ في الدِيارِ وذِكرُهُ   قد سارَ في شرقِ الفضاءِ وغَرْبِهِ
من دَوحةِ الأَتراكِ فَرْعٌ خِصْبُهُ   يجري الى فُرْسِ الزَمانِ وعُرْبِهِ
تُجنَى فوائدُ قُربِهِ في بُعدِهِ   وتُخافُ وَحْشَةُ بُعدِهِ في قُربِهِ
نَصَبَتْهُ دولةُ ذي السريرِ فتمَّمَتْ   أَلطافَها نحوَ العبادِ بنَصْبِهِ
أَحيَتْ مَواهبُها الأَصِحَّةَ وابتَغَتْ   أَنْ تَشمَلَ المَرْضَى فأَحيَتْهُمْ بهِ

وقال في جواب تقريظٍ اتاهُ من عبد الباقي افندي العُمَريّ من بغداد

بينَ قلبِ المُحِبِّ والأَحداقِ   كلُّ حربٍ قامَتْ على كُلِّ ساقِ
فتنةٌ طالما أَصابَتْ فكادَتْ   تَبلُغُ الرُوحُ مِن جَراها التَراقي
قد دَهَى سِحرُها المُحِبِّينَ حتى   عِيلَ صبرٌ وقيلَ هل مِن راقِ
أَثخَنَتهُمْ ظُلماً فتاهت ولم تَمْنُنْ م   ولم تَفْدِ بعدَ شَدِّ الوِثاقِ
يا مِراضَ الجفُونِ لم تتركي منّا م   صحيحاً وما لَنا منكِ واقِ
عَجَباً كيفَ يَقتُلُ العبدُ حُرّاً   عامداً غيرَ آثِمٍ باتّفاقِ
ضِقتُ ذَرْعاً ففَرَّ صبري وفيهِ   أَثَرٌ من تَزاحُمِ الأَشواقِ

وتَرَكتُ القَرِيضَ بالشامِ حتى ساقَني نحوَهُ إمامُ العِراقِ
عَلَمٌ ينتمي الى عُمَرَ الفا روقِ في نسبةٍ وفي أَخلاقِ
عرَفَتْهُ أَسماعُنا قبلَ تَعريفٍ م فكادت تراهُ كالآماقِ
شائعُ الفضلِ شخصُهُ حلَّ في الزوَ راءِ والذِكرُ سارَ في الآفاقِ
كم لهُ في العيونِ من حَسَراتٍ ولهُ في الآذانِ من عُشَّاقِ
شاعرٌ يَنظِمُ اللآلي من اللفظ م بسمطٍ من المعاني الدِقاقِ
ما وَثِقنا بسِحرِ بابلَ حتى فتَنَتنا بسحرها المِصْداقِ
هزَّني بالقريض لُطفاً ولكن هزَّ جِذعاً من الأَوراقِ
تكثُرُ الخيلُ في المرابضِ ان عُدَّ م ت ولكن تَقِلُّ عندَ السباقِ
لم اكن شاعراً فصِرتُ بتقريظٍ م اتاني كالطوقِ في الأَعناقِ
إنَّ ذاكَ القليلَ غيرُ قليلٍ من إمامِ القريض عبدِ الباقي
ايها السيّدُ الكريمُ لقد أَبدَعتَ م حتى في الرِفقِ بينَ الرِفاقِ
تستطيعُ الثنا عليَّ ولكن ذاكَ عندي عليكَ غيرُ مُطَاقِ
فاتَني شأْوُكَ البعيدُ فما أُد رِكُهُ لو رَكِبتُ مَتْنَ البُراقِ
ان هذه صحيفةُ الشوق مني فاتَّخِذْهَا صحيفةَ الميثاقِ
إن تَحُلْ بينَنا النوَى لم تَحُلْ إنْ شئتَ بينَ الأَقلامِ والأَوراقِ

——>oo<——

وقال يمدح البطريرك مكسيموس مظلوم كتب بها اليهِ
في مدينة القسطنطينية

للشوقِ عِندكَ مقعدٌ ومقيمُ ذاك الصحيحُ وأنتَ منهُ سقيمُ
ان كانَ هذا الشوقُ داءً حادثًا فالحُبُّ داءٌ في الفؤادِ قديمُ
في كُلِّ قلبٍ للصبابةِ منزلٌ ولكلِّ صبٍّ مشربٌ معلومُ
والحُبُّ أَشبهُ بالحبيبِ كرامةً فكريمهُ حيثُ الحبيبُ كريمُ
جرتِ القلوبُ على الخلافِ لحكمةٍ إنَّ الذي خلقَ القلوبَ حكيمُ
لولا التفاوتُ في البريَّةِ لم يكنْ وجهٌ بمصلحةِ العبادِ يقومُ
في كل عينٍ نزهةٌ وطلاوةٌ ولكلِّ نفسٍ لذَّةٌ ونعيمُ
ولعلَّ بعضَ السيئاتِ بزعمِهِمْ حسنٌ وبعضَ الطيباتِ ذميمُ
ولرُبَّ عاذرِ نفسهِ في خلَّةٍ ينهاكَ عنها ناصحًا ويلومُ
واذا انتهيتَ ظلمتَ نفسكَ مرَّةً فلعلَّ بعضَ الناصحينَ ظلومُ
اهلُ الزمانِ على خلافٍ لازمٍ مثلَ الزمانِ وفي الخلافِ لزومُ
احكامُ دهرٍ ليسَ يعلمُ سرَّها الاَّ حكيمٌ با لإلهِ عليمُ
انتَ المُشارُ اليهِ في ما ندَّعي يا من لهُ المنطوقُ والمفهومُ
يا بحرَ فيضٍ والبحارُ جداولٌ يابدرَ تمٍّ والبدورُ نجومُ
ياسيدًا جادَ الزمانُ لنا بهِ خجلاً لمن قالَ الزمانُ لئيمُ
لكَ في الكلامِ فوائدٌ منثورةٌ حكمتَ بان يُهدَى لكَ المنظومُ

تلك الحقائقُ في عُلاكَ تحجّبَت   وبَدَت لعين الناظرِينَ رُسومُ
اطلعتَ من سحرِ البيانِ لطائفاً   سُحرآءُ بابلَ دُونهنَّ تهيمُ
أَحيا عُلومَ الأوَّلينَ بكَ الذي   يُحيي عِظامَ الميْتِ وَهيَ رميمُ
هذا سُلَيمانُ الوَرَى لٰكنَّهُ   في طاعةِ الرحمٰنِ إِبرٰهيمُ
لا تُنكِرُ الإفرنجُ رِفعةَ شأنهِ   والتُركُ قد شَهِدَت لهُ والرُّومُ
دَينٌ علينا حمدُهُ ومديحُهُ   ولكلِّ دَينٍ طالبٌ وغريمُ
ولعلَّ عُذرَ المَرْءِ وَهْوَ مُقصِّرٌ   أَدنى قَبُولاً منهُ وَهْوَ عقيمُ
ويلاهُ قد ضاعَ الزمانُ وركْبُنَا   في كلِّ وادٍ لا يَزالُ يَهيمُ
ياطِيبَ ايامِ الصِبا لو أَنَّها   دامت وغيرُ اللهِ ليسَ يدومُ
عَبَثَتْ بيَ الايامُ وهيَ سفيهةٌ   فشكوتُها للصبرِ وهوَ حليمُ
واذا شكوتَ لسامعٍ خفَّ البِلَى   فكأَنما قُسِمَتْ عليهِ همُومُ
يا أَيُّها الحبرُ الذي قُلنا لهُ   بحرًا فقيلَ اذَنْ لهُ المظلومُ
ما بالُنا ندعوكَ بحرًا بيننا   والبحرُ يَغرَقُ فيكَ وهو مُليمُ
عَرَفَت مُلوكُ العصرِ قدْرَكَ حيثُما   أَلقى عَصاكَ الحافظُ القيُّومُ
فحُبِيتَ من زُهرِ النجوم بطالعٍ   يُنبي بسعدِ طُلوعهِ التقويمُ
أُثني عليك بما علمتُ وفاتني   ما فوقَ عِلمِي سِرُّهُ المكتومُ
فاذاعفَوتَ فقدوَفى حُسْنُ الرِضَى   واذا اعتذرتُ فقد وَفَى التسليمُ

وقال يجيب الشيخ عبد الحميد الموصلي عن قصيدةٍ ارسلها اليهِ
من مدينة بغداد

ما بينَ أَعطاف القُدودِ الهِيفِ ... سَبَبٌ ثقيلٌ قامَ فوقَ خفيفِ
ان فرَّ من تلك الرِماحِ طعينُها ... لقيَتْهُ أَجفانُ المَهَى بسُيُوفِ
سُبحانَ مَن خلقَ المحاسنَ وابتلَى ... مُهَجَ القُلوبِ بحُبِّها المألوفِ
دَعَتِ الخَليَّ الى الهوَى فأجابها ... طَوعاً وعاصَى داعيَ التعنيفِ
أَمسى يجُرُّ على القَتادِ ذُيولَهُ ... مَن كانَ يعثُرُ في رِمالِ الرِيفِ
واذا الهوَى ملَكَ الفُؤادَ فانهُ ... ملَكَ الفتَى من تالدٍ وطريفِ
أفدي عِذاراً خطَّ كاتبُهُ بلا ... قلمٍ لنا سَطراً بغيرِ حُروفِ
شَبَّبْتُ فيهِ تصبُّباً حتى اتت ... عذراءُ من بَغدادَ تحتَ سُجوفِ
خودٌ شُغلتُ وقد شُغفتُ بحُسنِها ... عن حُسنِ كلِّ وصيفةٍ ووصيفِ
تختالُ تحت رقائقٍ وعقائقٍ ... ومَناطقٍ وقَراطقٍ وشُنوفِ
عرَبيَّةٌ أَلفاظُها قد نزِّهت ... عن شُبهةِ التصحيفِ والتحريفِ
نَسجَ البديعُ لها طِرازاً مُعلَماً ... من صَنْعةِ الأقلامِ في التفويفِ
أَهلاً بزائرةٍ عليَّ كريمةٍ ... حَلَّت فجلَّت عن محَلِّ ضيوفِ
ان لم يَصحَّ المدحُ لي منها فقد ... صَحَّت بذلكَ آيةُ التشريفِ
جادَ الإمامُ بها عليَّ تفَضُّلاً ... كالبحر جادَ بدُرِّهِ المرصوفِ
رَجَعَ الثناءُ بها عليهِ بلُطفهِ ... فكأنهُ رَجعُ الصدَى لهُتوفِ

عَلَمٌ قد اشتهرت مناقبُ فضلهِ | في الناسِ فاستغنى عن التعريفِ
كَثُرت صفاتُ الواصفيهِ وطالما | لَذَّت فشاقتنا الى الموصوفِ
صافي السريرةِ مُخلِصٌ يمشي على | قَدَمِ التُقى ويَجُرُّ ذيلَ عفيفِ
أفعالُهُ المتصرّفاتُ صحيحةٌ | سَلِمَتْ من الإعلالِ والتضعيفِ
هُوَ عارفٌ باللهِ قامَ بنهيِهِ | عن منكرٍ والأمرِ بالمعروفِ
سيماؤهُ في وَجهِهِ الوضّاحِ من | أثَرِ السجودِ على أديمٍ حنيفِ
لَهِجٌ بخُلقِ الزاهدينَ أحبُّ من | لُبسِ الشفوفِ اليهِ لُبسُ الصوفِ
يهفو الى زُهرِ الفضائلِ عائفاً | من زهرةِ الدنيا اجتناءَ قطوفِ
ياقوتُ خطٍّ من سوادِ مدادِهِ | كُحلٌ لطَرْفِ الناظرِ المطروفِ
اقلامهُ كالبيضِ في امضائها | لكنها كالسُمرِ في التثقيفِ
قد صرَّفت في المُعرَباتِ بنانُهُ | تلكَ العواملَ احسنَ التصريفِ
تَسعى لديهِ على الرؤوسِ كأنما | تجري على فرسٍ أغرَّ قطوفِ
العالمُ الشهْمُ الفؤادِ الشاعرُ ال | واري الزنادِ الباهرُ التأليفِ
ثَمِلَ العراقُ بشعرهِ حتى جرَت | في الشامِ فضلةُ كأسهِ المرشوفِ
من كل قافيةٍ كزَهرِ حديقةٍ | في كلِّ معنًى كالنسيمِ لطيفِ
هي مُعجزاتٌ في صدورِ أُولي النُهى | ضَرَبت عروضاً ليسَ بالمحذوفِ
لا بدعَ في عبدِ الحميدِ فإنّها | أمُّ العراقِ أتتْ بكلِ طريفِ
امُّ العراقِ مدينةُ الخُلفاءِ وال | عُلماءِ والشُعراءِ بضعَ ألوفِ

لا تُنكِروا خوفاً يهولُ رسالتي منها وان تكُ أَمْنَ كلِ مخُوفِ
لولا الغُرورُ حبَسْتُها لكنني اطلقتُ عُذري خَلْفَها كرديفِ

وقال وقد كتب بها الى صديقٍ لهُ في بغداد

سَلامٌ وما يُغني السلامُ على البعدِ ولكنَّهُ أَولى بتَذكِرةِ العَهْدِ
سَلامٌ على من لا أَرى غير كُتْبِهِ فأَلهُو بذاكَ الرسمِ والرسمُ لا يُجدِي
حبيبٌ طَوَى بُعْدُ المَسافةِ وَصلَهُ فكانَ غريمي شُقَّةَ الغَورِ والنجدِ
ولا خيرَ في قُربِ الديارِ معَ القِلَى ولا بأْسَ من بُعدِ الديارِ معَ الوُدِّ
لهُ اللهُ ما أَبقى الودادَ بقلبِهِ على حينَ يُمحَى النقشُ في الحجَرِ الصلْدِ
تَمُرُّ صُروفُ الدهرِ والسُخطُ والنوَى عليهِ ولكن لا تُعيدُ ولا تُبدِي
صديقٌ صَدُوقٌ كلَّما قُلتُ قد سلا لِبُعدٍ رأَيتُ البُعدَ قد زادَ في الوجدِ
عَرَفتُ قُصوري عنهُ في كلِّ مَنهجٍ فلَستُ أُباري فضلَهُ بسوَى الحمدِ
تُعَلِّلُنا الآمالُ يوماً الى غدٍ بوَعدٍ و ياويلَ الوَفاءِ من الوعدِ
وهيهاتِ ما وَعدُ الحَياةِ بقائمٍ تُجاهَ المنايا وَهْيَ فاسخةُ العَقْدِ
طلبنا التَداني فابتَعدتَ فليتَنا طلبنا النوَى يا مَن يُقابِلُ بالضدِّ
وكم واجدٍ ما لم يكن طالباً لهُ وكم طالبٍ ما ليسَ يُدرِكُ بالجهدِ
يَبيتُ فُؤادي أَيُّها الناسُ عند مَن يَبيتُ اذا جَنَّ الدُجى طَيفُهُ عندي
قُصارى اللِقا منهُ الزِيارةُ في الكَرَى فتُشفِقُ عيني أن تعودَ الى السُهدِ

أَهيمُ الى مَن لا أَراهُ صَبَابَةً كما اُشتاقَ ظمآنٌ الى نازحِ الوِرْدِ
اذا نفحتني نَسْمَةٌ من دِيـارِهِ تعلَّلتُ منها بالسلامِ وبالبَرْدِ
أَلا يا بعيدَ الدارِ لو أَنَّ دارَنا دَنَت مثلَ قلبينا لَبِتْنَا على مَهْدِ
لَئِن مَنَعَتْ غُبْرُ السباسبِ وَفدَنا فما مَنَعَتْ ريحَ الجَنُوبِ من الوَفْدِ

وقال يمدح الامير امين رسلان و يعزّيهِ بوفاة اخيهِ الامير احمد

أَسِحْرًا كانَ شُغْلي في هَواكا لَقد تُهِمَت بسحرٍ مُقلتاكا
شَرِبتُ وما عرَفتُ الكأسَ حتى سَكِرتُ فما اُستطعتُ لهُ دِراكا
حَواكَ وقد حَلَلْتَ بكل قلبٍ فُؤادٌ لم يَحِلَّ بهِ سِواكا
نَزَلتَ بهِ على طَلَلٍ تفـانَى ولَستَ بمن على طَلَلٍ تباكى
أَطَعتَ العاذِلينَ بقتلِ صَبٍّ يُريدُ القتلَ لكن عن رِضاكا
تَعِزُّ كَرامـةً ويَهُونُ ذُلًّا فتأْنَفُ ان يَقُولَ دمي فِداكا
صَبابةُ عاشقٍ مَلَكَتْ فؤَادًا فمـا تَرَكَتْ لمملكةٍ مِلاكا
يُحاوِلُ أَن يَحِلَّ الصَبرُ فيهِ ولكنْ لا مكانَ لهُ هُناكا
أَلا يا قاتلي بـا للحظِ عَمْدًا أَرَى عَمْدي يُقصِّرُ عن خَطاكا
اذا أَمضَى ذُبابُ السيفِ حُكمًا غَدَت حُجَجُ الوَريدِ لهُ رِكاكا
نَهاني الشَيبُ عن خُلُقٍ قديمٍ وما بَلَغَ المَشيبَ فقد عصاكا
لَقد شابَ الاميرُ على العَطايا فحيثُ نَهيتَهُ عنها نَهاكا

عوائدُ آلِ رَسْلانَ اللواتي كوضعِ طباعِهِم تأبي انفكاكا
رَبِينَ بحِجْرِ إسمعيلَ حتى دعاهنَّ الأَمينُ فقلْنَ هاكا
وَجدتُك أصلَ دَوحةِ رَهطِ قيسٍ وإنْ تكُ فرْعَها فيما نَراكا
وقد يرِدُ الكريمُ على انفرادٍ وان أَعطاكَ مولدُهُ اشتراكا
وما ذَبَلَتْ غُصونٌ من تنوخٍ سَقَى ماءُ السماءِ بها ثَراكا
لَئِن عَرَفَت لك الأَعرابُ فضلاً فقد عَرَفَ الأَعاجمُ ما كفاكا
صَفَتْ لك هٰذِهِ الأَيّامُ وِردًا ولكن بعدَ ما قرَعَتْ صفاكا
عَرَضتَ لها فما طالتْ يداها وقُمتَ بها فما قَصُرَتْ يداكا
أَهَمُّ الناسِ في أمرٍ ولكنْ أَقَلُّ الناسِ في الأَمرِ ارتباكا
سَبَقتَ الى الفَعالِ فما تُحاكي وجاوَزتَ النظيرَ فما تُحاكَى
وَقَفتَ على صِراطٍ مُستقيمٍ كأَنَّ أَمامَ عينِكَ ما وَراكا
تُقَلِّبُ في صروفِ الدهرِ طرْفًا رَمَيتَ بهِ فما أَخطا السِماكا
فَقَدتَ أَخاكَ في الاوصافِ حتى فَقَدتَ اليومَ في نَسَبٍ أَخاكا
ومـا فَقَدَ اليتيمُ ابًا كريمًا اذا غطّاهُ فضلٌ من رِداكا
تَعوَّدتَ الجميلَ المَحْضَ حتّى منَ الصبرِ المُجاوِرِ في حَشاكا
وإنَّكَ لا تُبـالي بالمنايـا فتصغرُ أَنْ يَهيجَ لها بُكاكا
اذا نَصَبَت لك الشَرَكَ الليالي فما قَطَعَت لنعليكَ الشِراكا
تَشُلُّ يمينهـا يُسراكَ جَبْرًا وتَقطعُ سيفَ نَجْدتِها عَصاكا

تَفنَّنَ في الثَنآءِ عليك قَومٌ سَهِرتَ لهم وناموا في حِماكا
وما كانَ الثنآءُ عليك زُوراً وقد شَهِدَت بِصِحَتِهِ عِداكا
على العهدِ القديم أَتى مُحِبٌّ قديمُ العهدِ لا يَنسَى وَلاكا
لَئِنْ تَرَكَتكَ هِمَّتُهُ لضُعفٍ فإِنَّ أَباهُ لم يَترُكْ أَباكا
على ذُرِّيَّةِ الرَجُلَينِ وَقفٌ وليسَ بهِ التَصرُّفُ مِن قَضاكا
تُراثٌ نَدَّعيهِ ولو تَمادَى عليهِ الدهرُ لا يَخشَى الهَلاكا
أَكُمْ حَقُّ الرُعاةِ على رِجالٍ لهم حَقُّ الرَعيَّةِ مثلَ ذاكا
مَدَدتُمْ نِعمةً كانت بِحاراً ومَدُّوا خِدمةً كانت شِباكا
رأَيتُكَ في الدُجَى نَجماً مَطِيراً فما مَيَّزتُ ارضَكَ من سَماكا
اذا سافَرتُ كانَ رَجاكَ زادي وحيثُ نَزَلتُ ظَلَّلَني لِواكا

وقال في اخيهِ الامير حيدر وابنهِ الامير ملحم

سَلْ مَطالِعَ القَمَرَينِ من كَبِدِ السَما عن مَطالِعِ القَمرَينِ من كَبِدِ الحِمَى
وأَنظُرْ تَرَى شمساً تُسَمَّى حَيدَراً تُدلِي الى بدرٍ يُسَمَّى مُلحِما
رَبعٌ كَسَتْهُ كلُّ غاديةٍ كما تُكْسَى الوُفودُ بهِ طِرازاً مُعلَما
فيكادُ يَخطِرُ لو أَصابَ لهُ يداً ويكادُ يَنطِقُ لو أَصابَ لهُ فَما
قل للأَميرَينِ اللذَينِ تَرَى بهِ من قابِ قوسَينِ السَلامُ عليكما
هَيَّجتُما شَجَنَ القريضِ فطابَ لي وأَطَلتُما أَمَدَ الثَنآءِ فأَفحَما

في الناسِ مَن يقفُ القريضُ ببابِهِ　　خَجِلاً ومَن يلقى القريضَ مُسلِّما
والشعرُ كم بيتٍ يُساوي بَدْرةً　　منهُ وبيتٍ لا يُساوي دِرهما
قد كُنتُ أَرجوما أَرى من طَلْعةٍ　　غرّآءَ كانَ رَجاؤها يُرْوي الظَما
حتى ظَفِرتُ بحَضرةٍ هيَ كَعْبةٌ　　للوَفدِ في شَهرٍ أَراهُ مُحرَّما
نادٍ ترَى الشيخَ الرئيسَ بصدرِهِ　　وترَى بجانبِهِ الإِمامَ الأَعظَما
هوَ مجمعُ البحرينِ في علمٍ وفي　　كرَمٍ ولا حرَجٌ فحَدِّثْ عنهما
ترَكَتْ لهُ هِمَمُ العلَى متأَخِّراً　　في المجدِ ما فرَضَتْ لهُ مُتقدِّما
شَرَفٌ تُلاقيهِ النُجومُ ضئيلةً　　ترنُو اليهِ كما نُلاقي الأَنجُما
ما زال يَغنَمُ بالأَسنَّةِ رَهطُهُ　　حتى غدت لَهُمُ الأَسنّةُ مَغنَما
انَّ المَعاليَ في الزَمانِ عرائسٌ　　لا تَنجلي حتى تُخَضَّبَ بالدِما

وقال يجيب عبد الباقي افندي العمري عن ابياتٍ ارسلها اليهِ من بغداد

يا أَيُّها القلبُ الخَفُوقُ بجانبي　　قدصرتَ وَيحَكَ حاضراً كالغائبِ
إِلحَقْ بأَهلِكَ في العراقِ وخَلِّني　　بالشأمِ في أَهلي فلستَ بصاحبي
فتنَتكَ أَفئدةُ الرجالِ فلم تكن　　ممَّن أُصيبَ بأَعيُنٍ وحواجبِ
عاطيتَ لكنْ لابكأسِ منادِمٍ　　فسكِرتَ لكِنْ لابخَمْرةِ شاربِ
ذُقتَ الهوَى صِرْفاًوما كُلُّ الهوَى　　يجدُ الفتى فيهِ السبيلَ لعائبِ
حُبُّ الكريمِ كَرامةٌ لمُحبِّهِ　　ونَباهةُ المطلوبِ مجدُ الطالبِ

قد شاقكَ العُمَريُّ قُطبُ زمانهِ   متباعِدًا في صُورة المُتَقارِبِ
مُتَواترُ الآثار أَردَفَ كُتُبَهُ   فأَتَتْ كتزكيةِ الشُهودِ لكاتبِ
هذا إِمامٌ في الأَئمَّة ذِكرُهُ   قد شاعَ بينَ مشارقٍ ومغاربِ
ولَئن تأَخَّرَ في الزمانِ فانهُ   عَقْدٌ يَلِي الآحادَ عندَ الحاسبِ
نَجْني الفرائدَ من بحارِ قريضهِ   منظومةً من صُنْعِ فِكرٍ ثاقبِ
من كل قافيةٍ شَرُودٍ بيتُها   ضُرِبَت له الاوتادُ بينَ تَرائبِ
أَثْنَى جميلاً مَن تعوَّدَ سَمْعَهُ   فيهِ ولكن بالخَليقِ الواجبِ
أَثنى بما هوَ أَهلُهُ فكأَنَّما   أَهدَى لنا من نفسهِ بمناقبِ
شَرَفٌ لَبِستُ طِرازَهُ فاهتزَّني   عُجبًا الى ما فوقَ فوقِ مراتبي
فاذا ادَّعيتُ جعلتُ ذلكَ شاهدي   واذا افتخرتُ جعلتُ ذلكَ ناسبي
ياجابرَ القلبِ الكسيرِ بلُطفهِ   ماذا ترَى في أَمرِ قلبٍ ذائبِ
ما زالَ يُقعِدُهُ الهوَى ويُقيمهُ   كالفعلِ بينَ جوازمٍ ونواصبِ
أُرْدُدْ فُؤَادًا لي اراكَ غصبتَهُ   مني فانَّ الرَدَّ حُكمُ الغاصبِ
ما كانَ أَسمحَني بهِ لكنَّهُ   وَقفُ العِراقِ فلا يَصِحُّ لواهبِ
شَوْقي الى من لم تَراهُ نواظري   في قُطرِ ارضٍ لم تَطَأْهُ ركائبي
احببتُ زَوراءَ العِراقِ لأَجلهِ   ولأَجلها أَطرافَ ذاكَ الجانبِ
حَقُّ المحبَّةِ للقُلوبِ فقد أَرى   حُبَّ الوُجوهِ عليهِ لَمحةَ كاذبِ
واذا تعرَّضَ دُونَ عينٍ حاجبٌ   فُهناكَ قلبٌ لا يُرَدُّ بحاجبِ

أَفديكَ يامَن ليسَ لي في حبِّهِ … فضلٌ فذاكَ عَلَيَّ ضربةُ لازبِ
احسنتَ في قَولٍ وفِعلٍ بارعاً … وكِلاهُما للنفسِ اكبرُ جاذبِ
أَنتَ الذي نالَ الكمالَ موفَّقاً … من رازقٍ مَن شآءَ غيرَ محُاسبِ
فاذا نظمتَ فأَنتَ ابلغُ شاعرٍ … واذا نثرتَ فأَنتَ افصحُ خاطبِ
واذا نظرتَ فعن شِهابٍ ثاقبٍ … واذا فكَرْتَ فعن حُسامٍ قاضبِ
واذا جرَتْ لكَ في الطُروسِ يَراعةٌ … فسَوادُ وَشمٍ في مَعاصِمِ كاعبِ
هذِهْ رَسُولٌ لي اليكَ وليتني … كُنتُ الرَسُولَ لها بمَعرِضِ نائبِ
شاميَّةٌ من آلِ عيسى أقبلَت … في ذِمَّةِ العُمَرِيِّ تحتَ مَضاربِ
عذرآءُ يَثْنيها الحَيآءُ مَهابةً … وتَقُودُها الأَشواقُ قَوْدَ جنائبِ
نَزَعَتْ الى مآءِ الفُراتِ وما دَرَتْ … كم أَغرَقَتْ صهواتُهُ من راكبِ
تلكَ البقيَّةُ من ذخائرِ أَعجمٍ … تَلقَى البقيَّةَ من كِرامِ أَعاربِ
من كل نابغةٍ يُفيضُ كأَنَّما … نُشرَ الفَرَزْدَقُ في تميمَ لغالبِ
ماذا يقومُ ولو تَطاوَلَ قاصرٌ … بِمدًى تُقصِّرُ فيهِ جُردُ سلاهبِ
فلكَ الجميلُ اذا عَذَرتَ وان تَلُمْ … فلقد أَصبْتَ وما الملُومُ بعاتبِ

وقال في رسالةٍ بعث بها الى بعض اصحابهِ في دمشق يعزيهِ بولدٍ لهُ توفي بالمرض المعروف بالريح الاصفر سنة ١٢٦٤

أَسَفاً على أَسَفٍ وليسَ بمُنكَرٍ … أَسَفُ الكبيرِ على الحبيبِ الاصغرِ
وأَحَرُّ مَنْ فارَقتَ نارَ صَبابةٍ … من لم يُمتِّعْ مُقلتَيكَ بمَنظرِ

هذا هِلالٌ قد رَماهُ مُحاقُهُ في صَدْرِ غُرَّتِهِ كسَلخِ الأَشْهرِ
جادَ الزَمانُ بما اُستردَّ فما وَفى جودُ الكريمِ بلَهْفةِ المتحسّرِ
كُنّا نُحاذِرُ من عَدُوّ أَزرقٍ حتى بُلينا بالعَدُوّ الاصفرِ
نَحِسَاتُ أَيَّامٍ أَثرْنَ عجاجةً سطَعَتْ ولكنْ لا بريحٍ صرصرِ
يَرِدُ الرَدَى من كُلِّ بابٍ سالكاً كلَّ الفِجاجِ حَذِرتَ ام لم تحذَرِ
واذا ابتُليتَ بما بهِ نَفَذَ القضا فاُصبرْ على بَلواكَ او لا تَصبرِ
لا بُدَّ من يومٍ سيَحضرُ ذاكراً مَنْ كانَ يَنساهُ وان لم يُذكَرِ
نجري الى أَجَلٍ فكُلٌّ مقَدَّمٍ منا يجُرُّ عِنانَ كلِّ مؤَخَّرِ
يا سابقاً من دُون غايتِهِ المُنَى أَنتَ المقرَّبُ عِندَ ربِّكَ فاُبشرِ
قد ذُقتَ حلوَ الطيّباتِ ولم تذُقْ مُرَّ الخبائثِ في الزمانِ الاغبرِ
خَلَّفتَ لي حزناً عليكَ وفوقَهُ حزناً لثُكْلِ ابيكَ ليسَ بمُقصرِ
لو باتَ في عينيَّ دمعٌ واحدٌ لكتبتُ حولَ ثَراكَ خمسةَ أَسطرِ
غُصنٌ سقَينا بالدُموعِ تُرابَهُ رَفعاً لهُ عن سَقْيِ ماءِ العُنصرِ
ان لم تكُنْ تُروى ثراهُ فإنَّها تُروي فؤادَ مُحبّهِ المُستعبرِ
يامَن بَكَيتُ على صباهُ مُقبلاً حَسْبي البكآءُ على صبايَ المُدبرِ
إنَّ الحَياةَ هيَ الصِبا فاذا اُنقضَى عنّي فإنّي ميّتٌ لم يُقبَرِ
نَبغِي بَلاغَ المُنذِرينَ وعندَنا من كُلِّ ميتٍ قامَ ابلغُ مُنذِرِ
هذا الخطيبُ على الرُؤوسِ منادياً جَهراً وذاكَ النعشُ عودُ المنبرِ

يا ايها النُوّامُ هبُّوا واْخلعوا حُلماً تغافَلَ عنهُ كلُّ مُعبّرِ
المَيْتُ يعرِفُ حالةً حضَرَتْ لهُ والحيُّ يجهَلُ حالةً لم تحضرِ

وقال في رسالةٍ بعث بها الى عبد الباقي افندي العمري في بغداد

فدَى الجلابيبِ والأطمارِ من وَبرٍ ماتصنعُ الفرُسُ مِن وَشيٍ ومن حبَرِ
يَزينُ في العرَبِ الأثوابَ لابسُها إنْ زانتِ اللاّبسَ الاثوابُ في الحضَرِ
أَلَذُّ من نغَمِ الأوتارِ في غُرَفٍ بيتٌ من الشعْرِ في بيتٍ من الشَعَرِ
وفوقَ نَشْرِ دُخَانِ العودِ رائحةً دُخَانُ نارِ القِرَى تُسقى دَمَ الجُزُرِ
اذا اردتَ الظِبَا اللاّءِي عهدتَ لها نوافجَ المسكِ فاطلُبْها من القفَرِ
هناكَ من ظَبَيات الوَحشِ ما شغَلَتْ فؤادَهُ ظَبَيـاتُ الأُنس والخفَرِ
من كلِّ خَزْراءَ عينٍ لاتُخَازِرُها كحلاَءَ ليسَ بها للكحْلِ من أثَرِ
انَّ المليحةَ مَن كانت محاسنُها من صَنْعةِ اللهِ لامن صنْعةِ البشَرِ
ماأَنْسَ لا أنسَ يوماً دُمتُ أَذكُرُهُ ووَقْفةً عن يمينِ الحَيّ من مُضَرِ
بِتْنا على الرَملةِ الوَعْساءِ نَحسبُها بحراً تموَّجَ بالأنعامِ والنفَرِ
تَقضِي النهارَ بسُمْرِ الخَطِّ فِتيتَهم على السُرُوجِ وتَقضِي الليلَ بالسَمَرِ
يَبيتُ يرْوِي عن الكنديّ راويةٌ لنا ونرْوِي لهُ عن شيخنا العُمَري
ياأيُّها المَلأُ أُستمْلُوا قصائدَهُ وكُنْ من السُكرِ يا صاحي على حذَرِ
فيها شِفاءٌ وأُنسٌ يَستعينُ بهِ مَن كانَ منكم مريضاً او على سفَرِ
راحٌ ورَوْحٌ وريحانٌ ورائحةٌ راحت بريح الصبَا في راحةِ السَحَرِ

يَستوقِفُ الركبَ عن ماءٍ على ظمأٍ إنشادُها فيخيلُ الوردَ في الصدرِ
قُطبُ العراقِ الذي في الشامِ شهرتهُ الى الحجازِ فأرضِ الفرسِ والخزرِ
إن كانَ يبعدُ وجهُ الأرضِ عن قمرٍ فليسَ تبعدُ أرضٌ عن سنى القمرِ
دلّت على فضلهِ السامي رسائلهُ لمّا اتت فعرفنا العودَ بالثمرِ
رضيتُ منهُ على بعدِ الديارِ بها والجهدُ يرضيكَ بعدَ العينِ بالأثرِ
ياطالما زارني طيفٌ تعاهدني في النومِ حتى لقد ألقاهُ في السهرِ
تبيتُ في جنةٍ من طيبِ رؤيتهِ عيني وقلبي من الأشواقِ في سقرِ
دونَ الأحبّةِ أجبالٌ وأوديةٌ ومثلُ ذلكَ عندي دونَ مصطبري
تخونني الريحُ في حملِ السلامِ لهم منّي وتكتمُ عنّي صادقَ الخبرِ
أستودعُ اللهَ روحاً في الهوى رضيت دونَ النوى بقضاءِ اللهِ والقدرِ
يشوقها كلَّ يومٍ من أحبّتها سمعٌ وشتّانَ بينَ السمعِ والنظرِ
ويلاهُ من زمنٍ دارتْ دوائرهُ فما نبيتُ بهِ الّا على خطرِ
يخلو من الصفوِ دهراً في تكدّرهِ فإنْ صفا ساعةً لم يخلُ من كدرِ
لا يستقيمُ على عهدٍ لذي ثقةٍ ولا يقيمُ على وصلٍ لذي وطرِ
اذا اجتمعنا فإنَّ البينَ غايتنـا كالقوسِ تجمعُ بينَ السهمِ والوترِ

وقال في رسالةٍ بعث بها الى الشيخ عبد الحميد الموصلي في بغداد

بغدادَ أيّتُها الركابُ فبادري نهرَ السلامِ بنهلةٍ من باكرِ

واذا وقفتِ على الرُصافةِ فأنشُدي   قلبي ولكنْ من لَظاهُ فحاذِري
هل تحمِلينَ من المَشُوقِ تحيَّةً   نَفحتْ بأَرواحِ الخزامِ العاطرِ
ولْهانُ ترعى الطَيفَ مُقلةُ نائمٍ   منهُ وترعى النجْمَ مُقلةُ ساهرِ
ما كُلُّ من عرفَ المحبَّةَ عارفٌ   حقَّ المحبَّةِ باطِناً كالظاهرِ
هانتْ مودَّةُ من أحبَّكَ أولاً   حتَّى تراهُ ثابتاً في الآخِرِ
وأنا الذي ذهبَ الهوى بفؤادِهِ   من حيثُ ليسَ على الرُجوعِ بقادرِ
أَضحى يعنِّفُ عاذلي حتَّى اذا   عرفَ الذي أهواهُ أمسى عاذِري
أَهوى الكريمَ من الرِجالِ ولو على   سَمْعٍ بهِ إنْ كُنْتُ لستُ بناظرِ
وأُحِبُّ آثارَ العُلومِ وأبتغي   صحفَ الأَديبِ على نُضارِ التاجرِ
للناس في ما يعشَقُونَ مذاهبٌ   يَذهبْنَ بينَ ميامنٍ ومياسرِ
في كُلِّ قلبٍ من حبيبٍ صبْوةٌ   يَبلى ويتركُها لِقَلْبٍ غابرِ
لا تنتَهي هِمَمُ الفتى فاذا انقضى   وطرٌ تجدَّدَ غيرُهُ في الخاطرِ
أَمَلٌ طويلٌ والحَياةُ قصيرةٌ   تنْجابُ بينَ مَوارِدٍ ومَصادرِ
ولَقد بَكَيْتُ على الشَبابِ وعصرِهِ   فأَضعْتُ دمْعي خاسراً في خاسرِ
لا يَعرِفُ الإنسانُ قِيمةَ نِعمةٍ   حتى تزُولَ فيستفيقُ كخاسرِ
يَمْضي بِما فيهِ الزمانُ كأَنَّهُ   لم يأتِ عندَ أصاغرٍ وأكابرِ
والشيخُ أَشبَهُ بالغُلامِ كلاهُما   في زَعْمِهِ مولودُ يومٍ حاضرِ
جرَّبتُ أَخلاقَ الزَمانِ وأَهلِهِ   فعرَفْتُ يومي قبلَ أَمسِ الدابرِ

وَصَبَرتُ لكنْ حيثُ لم يكُ في يدي ... دَفعُ البَلَاءِ فأَينَ فضلُ الصابرِ
يا أَيُّها الطَيفُ المُعلِّلُ مُهجتي ... بمواعدٍ يبرِقْنَ غيرَ مواطرِ
إِنْ كُنتَ لا تبغي الوَفاءَ فلا تَعدْ ... بُخْلُ الحريصِ ولا مِطالُ الغادرِ
كيفَ اهتدَيتَ اليَّ تحتَ دُجُنَّةٍ ... تَطغى بها عينُ الشِهابِ السائرِ
أَنتَ الخَيالُ تَزُورُ مِثلَكَ في الضَنَى ... لو كانَ مِثلَكَ في خُفوقِ الطائرِ
هل تُبلِغُ الشيخَ الكبيرَ رِسالةً ... من عاجزٍ جُعِلَت وكَيلَ القاصرِ
نَقَّطتُها مِثلَ العرُوسِ بأَدمعٍ ... مِثلِ اللآلئِ فَهيَ نظمُ الناثرِ
زُفَّت الى من لا تَقُومُ ببابِهِ ... لو عزَّزَتْ ببيانِ عبدِ القاهرِ
اللوذَعيُّ الكاملُ الفَرْدُ الذي ... أَفعالُهُ يَغلِبْنَ قولَ الشاعرِ
أَمَةٌ الى عبدِ الحميدِ جَلَبْتُها ... ممَّا تَفَضَّلَ من كِرامِ حرائرِ
قد سَهَّلَتْ لي الشِعرَ صَنْعةُ صائغٍ ... تأتي فأُرجِعُها بصَنْعةِ كاسرِ
يا أَيُّها البحرُ العرَمْرَمُ لم نُصِبْ ... لكَ لُجَّةً فأَصَبْتَنَا بجَواهرِ
أَسرارُ عقْدٍ من لَدُنْكَ تضَمَّنَت ... إِكسيرَ حلٍّ من صِناعةِ جابرِ
بَيْني وبَيْنَكَ ذِمَّةٌ مَطْوِيَّةٌ ... طَيَّ السجلِّ الى المَعادِ الناشرِ
لم يُبقِ لي هذا الزمانُ ذَخيرةً ... فجَعَلتُها في القلبِ بعضَ ذخائري

———>ooo<———

وقال يجيب احد اصحابهِ عن ابيات ارسلها اليهِ

قِفْ بالدِيارِ وإِنْ شجاكَ المَوقِفُ وسَلِ المَنازِلَ بعدَنا من تأْلَفُ
واذا عَثَرْتَ على فؤادي بينها يوماً فسَلْهُ الى متى يتخلَّفُ
رَبعٌ صَرَفْتُ العينَ عنهُ أَشهُراً والقلبُ عنهُ ساعةً لا يُصرَفُ
قد كانَ لي داراً فصارَتْ مُهجتي داراً لهُ بفِنائِها يتكنَّفُ
وبجانبِ الجَرْعاءِ قومٌ عِندَهم ذِمَمٌ لَنـا محفوظةٌ لا تُخلَفُ
تَدنُو مودَّتُهم على بُعدِ المَدَى ويزيدُ صِحَّتَها الزمانُ المُدنِفُ
إِخوانُ صِدقٍ في الإِخاءِ ترى لهم كَلَفاً ولكن ليسَ فيهِ تكلُّفُ
ما زِلتُ أَمزُجُ بالمدامعِ ذِكرَهُمْ طرَباً كما مُزِجَت بماءٍ قرْقَفُ
يا مَن جَلاَ عينَ البعيدِ برَسْمِ ما كانتْ بهِ أُذُنُ القريبِ تُشنَّفُ
طِرسٌ على الأَنفاسِ منكَ ختَمتَهُ سرّاً فذلكَ بالعبيرِ مُغلَّفُ
إِنْ كُنتَ يعقوبَ المُحبَّ فنِعمَ ما تُدعَى ولكنْ ما حَبيبُكَ يُوسُفُ
أَثبَتَّ لي في الوَصفِ ما لا أَدَّعي وعرَفتَ لي في الحُبِّ ما لا أَعرِفُ
هٰذِهْ صحيفةُ من تَوَدُّ عيونُهم لو أَنَّها ضِمنَ الصحيفةِ أَحرُفُ
كادتْ تَطِيرُ بها اليكَ صَبابةٌ فيها أَرقُّ من النسيمِ وأَلطَفُ
جارَيتَني فسبَقتَني ولَطالَما قد كُنتَ تَقوَى في السِباقِ وأَضعَفُ
ان كُنتُ عن حقِّ الوفاءِ مقصِّراً فالفضلُ في إِنصافِ من لا يُنصِفُ

وقال وقد اقترح عليهِ بعض رجال الدولة ابياتًا يمدح بها امين افندي حين حضر من القسطنطينية ناظرًا على قطر الشام

أَتَتْنا وَهِيَ سافرةُ الجَبينِ ... فلاحَ الوَرْدُ تحتَ اليَاسَمينِ
وحَيَّتْ بِالبَنانِ فسالَ دمعي ... فأَرسلَها مُخضَّبةَ اليَمينِ
لَعُوبٌ بالقُلُوب تَحِلُّ فيها ... فتنزلُ مَنزِلَ السِرِّ المَصُونِ
أُشَبِّهُ خالَ وَجْنتِها بِنَقْطٍ ... وقد شَبَّهتُ حاجِبَها بِنُونِ
مُمَنَّعةٌ تَرُدُّ الكَفَّ عنها ... وتَخدَعُ بالمَعاطِفِ والعُيُونِ
تَدُورُ على النُدامى من يَدَيها ... أَباريقٌ وكأْسٌ من مَعِينِ
فَدَيتُكِ غادةً نَخشَى سيُوفًا ... لأُسرَتِها فنُقتَلُ بالجُفُونِ
حَسِبْناواوَ صُدغكِ حرفَ عَطفٍ ... على أَلِفٍ نَراها حرفَ لِينِ
رَدَدْتِ الشاهدَ المجروحَ قَلْبي ... وما تَرضَيْنَ مِنّي باليمينِ
رُوَيدَكِ ما وَقَفتِ على إِمامٍ ... ولا شاهَدتِ دِيوانَ الأَمينِ
أَمينِ الدولةِ الغرَّاءِ في ما ... يُؤَيّدُ رايةَ الحَقِّ المُبينِ
يُدَبِّرُ كلَّ قُطرِ الشأمِ حَزمًا ... بأَوسَعَ منهُ قُطرًا في الفُنونِ
لقد أَلقَى الرَصانةَ فيهِ حَتَّى ... تَهابُ الريحُ إِقلاقَ الغُصونِ
وهَذَّبَ كُلَّ نَفسٍ فاْستقامَتْ ... على قَدَمِ الوَداعةِ والسُكُونِ
رَسولٌ من بني الأَتراكِ ظَلَّت ... بهِ الأَعرابُ تُوعَدُ مُنذُ حِينِ
لهُ في مُعجِزاتِ الرأْيِ فَيضٌ ... كوَحيٍ هابطٍ في طُورِ سِينِ

يقيّدُ كلَّ آبدةٍ ويرْمي بسهمِ الظنّ في كبدِ اليقينِ
اذا ما اعتلّتِ الدُنيا شفاها طبيبٌ منهُ ذو عقلٍ ودينِ
أيَا بحرًا أتانا فوقَ بحْرٍ متى أبصرتَ بحرًا في سفينِ
صفوتَ فلم تكدّرْكَ الليالي كأنَّكَ لستَ من ماءٍ وطينِ

والتمست منه اعضاءُ الجمعية السورية ابياتاً يرسلونها الى رئيس الجمعية بعد سفرهِ الى بلادهِ فقال

أَلحمدُ للهِ الذي خلقَ الورَى لكنَّ حمدي قاصرٌ دُونَ الوفا
الحمدُ للهِ الذي يقضي بما يهوَى ولكنْ لامرَدَّ لِما قضَى
بِتنا نلومُ الدهرَ في أحداثهِ والدهرُ ظرْفٌ بينَ صبحٍ ومسا
ماذا ترَى هذا الزمانَ معَ الذي خلَقَ الزمانَ ومَن على العرْشِ استوَى
اللهُ أكبرُ كلُّ ما فوقَ الثرَى فانٍ ويبقى وجهُ ربّكَ لا سوَى
واذا رأيتَ السخطَ ليسَ بنافعٍ مماَّ قضاهُ فاعتمِدْ حُسنَ الرِضى
جئنا الى الدُنيا وقد شابتْ على غضبِ النفوسِ ولم تدَعْهم الصِبا
لو كانَ يبقَى قبلَنا حيٌّ بها لطَمعتُ منها في السلامةِ والبقا
نمشي الى الموْتى على أجسادِهِمْ في الأرضِ دارسةً كمنثُورِ الهبَا
لو كانَ يمكِنُ أنْ تميّزَ أرضَنا لوَجدْتَ نصفَ ترابِها رِممَ البِلَى
هيهاتِ ما الدُنيا بدارِ إقامةٍ الاَّ كما نزَلَ المُسافرُ في الدُجَى

تَصِلُ التَلاقِيَ بالفِراقِ ودُونَهُ يأتي فِراقٌ ليسَ يَعقبُهُ لِقا
ولَقد أَقُولُ لِراحلٍ عن رَبعِهِ ماذا أَخَذتَ وما تَرَكتَ مِنَ الحَشَا
هذي القُلوبُ وَدِيعةٌ لكَ فاُرْعَها يا خَيرَ مَن حَفِظَ الوَدِيعةَ والوَلا
منا السَلامُ عليكَ حيثُ نزَلتَ من شَرْقِ البِلادِ وغَرْبِها ولكَ الثَنا
تلكَ اليَدُ البيضاءُ لو نَنسَى الذي غَرَسَتْهُ ذَكَّرَنا بهِ غَضُّ الجَنَى
لكَ عندَنا شَوقٌ يَطُولُ فهل لَنا صَبرٌ يطولُ عليهِ إِنْ طالَ المَدَى
أَوحَشتَ داراً كُنتَ تُؤْنسُها فلو كانتْ لها عَينٌ لَفاضَتْ بالبُكا
ياصَدرَ مَجلِسِنا الكريمَ ورأسَهُ هل تذكُرُ الأَعضاءَ من بَعدِ النَوَى
يا صاحبَ القلبِ السليمِ وصاحبَ ال وَجهِ الوَسيمِ كأَنَّهُ عينُ الضُحَى
يا ساهرَ الطَرْفِ الجَليِّ وطاهرَ ال عرضِ النَقيِّ كأَنَّهُ زَهرُ الرُبَى
يا أَيُّها الشَهْمُ المُجرَّبُ صاحبُ ال خُلقِ المُهذَّبِ والإِناءِ المُصطفَى
ضاقَ الكلامُ بنا فهل من بَسْطةٍ تَجرِي علينا منكَ يا قَطرَ النَدَى
أَعجزتَنا عن شُكرِ نعمتِكَ التي شَهِدَتْ بِصِحَّتِها مَلٰئِكةُ السَما
هل منكَ يا زَهرَ الحدائقِ نَفحةٌ تُهدَى الينا اليومَ مع رِيحِ الصَبا
وعَسَى عَمُودُ الصُبحِ يُلقِي فوقَنا ظُلَلاً مُضمَّخةً بأَرواحِ الشَذا
وخزائنُ الأَصدافِ تَنثرُ بينَنا دُرَراً تُزانُ بها المَعاصِمُ والطُلَى
نَقضِي بها حقَّ الثَناءِ لمن قَضَى حَقَّ الإِلهِ وخَلقِهِ حقَّ القَضا
يا معشَرَ الأَصحابِ أَيُّ رِجالِكم وَلَّى وأَيُّ قلوبِكُمْ باقٍ هُنا

لا تَحسبُوا رَجُلاً على فلكٍ ثَوَى ... لٰكِنَّهُ بَحرٌ على بحرٍ مَشَى
هٰذا فِراقٌ تعلمون زَمــانَهُ ... أَفتعلمُونَ متى يكونُ المُلتقى
قد مالَ هٰذا البدرُ نحوَ غُروبِهِ ... لكنْ سيَطلُعُ فاُسعِفُوهُ بالدُعا

وقال وقد زارهُ محمد عزة باشا قائد الجيوش السلطانية في اعمال بيروت

أَعطَى مُحمَّدُ عِزَّةٍ من فضلِهِ ... شَرَفًا لِساحتِنا بوَطْأَةِ نَعلِه
قَسَمَ اُسمَهُ السامي فنالَ مُحمَّدًا ... منهُ وأَعطَى عِزَّةً لِمَحَلِّه
هٰذا الوزيرُ وزيرُ سُلطانِ الوَرَى ... وخَليفــةِ اُللهِ العليِّ وظِلِّهِ
أَخفيتُ عن داري بِشارةَ وَفدِهِ ... كي لا تُصفِّقَ بالسُرُورِ لأَجلِه
يا زائرًا بيتي أَراكَ فتَنْتَهُ ... فَعَليكَ بيتٌ غيرُهُ من مثلِه
أَجلَلْتَهُ عنّي فصرتُ أَهابُهُ ... حتّى كأَنّي لم أَكُنْ من أَهلِه

وقال يمدح بعض الرؤَساءِ وقد قدم من سفرٍ طويل

طالَ ميعادُنا فَخِلْنــاهُ دَهْرا ... هٰكَذا الشوقُ يَجعَلُ اليومَ شَهْرا
طالَ ميعادُ بَينِنا ونَسِينا ... أَنَّ في دَهرِنَا مَعَ العُسرِ يُسرا
قد حَلُمْنا فأَثمرَ الحِلمُ صَبرًا ... وصَبرنَا فأَثْمَرَ الصبرُ شُكرا
لاحَ وَجهُ المُنَى ومن قَطَعَ الليلَ ... م فلا بُدَّ أَن يُصــادِفَ فَجْرا
جاءَ في الفُلْكِ من يَقِلُّ عليهِ ... فَلَكُ النَجمِ وَهوَ أَوسعُ صَدْرا
ليسَ بِدعًا في البحرِ ان يَحمِلَ الفُلكَ ... م ولكنْ في الفُلكِ يَحمِلُ بحرا

هُوَ بحرُ العلومِ مَن خاضَ فيهِ ذاقَ ماءَ الفراتِ واصطادَ دُرّا
ظَلَّ يُلقي في قلبهِ العلمُ مدًّا وعلى وجههِ السكينةُ جزرا
بيَدَيهِ العصا التي حيثُ أَلقا ها لكيدٍ تلقّفت منهُ سِحرا
بين أغنامهِ يَهشُّ بها الرا عي وفيها لهُ مآربُ أُخرى
عالمٌ عاملٌ أديبٌ لبيبٌ كاتبٌ خاطبٌ من الغيثِ أَجرى
فكرُهُ أَعجلَ اليَراعَ ففاضتْ أَسطرٌ منهُ كُلّما خطَّ سَطرا
قَلَمٌ ينفثُ المدادَ على الطِرْ سِ وإنّي أراهُ يعصِرُ خمرا
قصُرَ الشعرُ دُونَ من يَغلِبُ الشعرَ ولو أمطَرَتْ لَنا السُحْبُ شِعرا
هُوَ أدرَى بعجزِنا عن ثَناهُ فهوَ يعفو عنّا ويقبلُ عُذرا
يا خطيباً لهُ فصولُ خِطابٍ قد أَلانَت من المنابرِ صخرا
أينَ قُسٌّ من حبرِ عصرٍ هوَ المظلومُ إن قيسَ بالأئمةِ طُرّا
طابَ فيكَ الثناءُ فاستنجدَ النطقُ يَراعًا واستنجدَ النظمُ نثرا
لِلقوافي عليكَ مُزدحَمٌ حتّى لقد كادَ يدفعُ الشطرُ شطرا
هذهِ النظرةُ التي كُنتُ ارجو منكَ قِدماً حتى قضى اللهُ أَمرا
ذَهَبَ العُمرُ في التعلّلِ بالآ مالِ والدهرُ ليسَ يُخلِفُ عُمرا
لاحَ صُبحُ المشيبِ في مفرقٍ كا نَتْ لهُ ظُلمةُ الشبابِ أَبرّا
ذاكَ ضيفٌ لا يُستحبُّ لهُ الأُنسُ ولكنْ بهِ الكرامةُ أَحرى
مِن أَقاصي الدُنيا الى الحَرَمِ الأَقصى بِكَ اللهُ أَيُّها البدرُ أَسرى

قد تَنَقَّلتَ في المَنازِلِ حتَّى صَدَقَ الشِبهُ إِذْ دَعَوناكَ بَدرا
إِنْ تأَخرَّتَ مُدَّةً فالقَوافي آخِرُ الشعرِ وَهْيَ أَعلاهُ قَدْرا
قد تَوالَتْ مُقَدَّماتُ قِياسٍ كُنتَ منها نَتيجةً حينَ تُقرا
أَنتَ فوقَ الذي أَراهُ فعِندِي خَبَرٌ لا يُحِيطُ بالحَقّ خُبْرا
ضاقَ هذا الثَناءُ عنكَ وضاقت هِمَّتي عنهُ فاشتكَتْ منهُ حَصْرا
إِنَّني قاصرٌ ضَعِيفٌ ومِثلي يَبتغي من مَسافةِ الطُرْقِ قِصْرا

وقال يرثي موسى بسترس وكان عزيز قومهِ توفي سنة ١٨٥٠

ما بالُ مُوسَى بلا سَمْعٍ ولا بَصَرٍ فلا يُجِيبُ الذي يَدعُوهُ في السَحَرِ
ما بالهُ مُعرِضاً عنَّا أَمِنْ مَلَلٍ عَرَاهُ أَم شَغَلَتهُ أُهبَةُ السَفَرِ
ما بالهُ اليومَ مغلولَ اليدَينِ وقد كانتْ يَداهُ كَنصْلِ الصارمِ الذَكَرِ
قد كانَ بالأَمسِ مُوسَى في مَجالِسِهِ يُروِي صَدَى السَمْعِ او يجلو صَدَا النَظَرِ
ويَفصِلُ الأَمرَ والأَلبابُ في دَهَشٍ ويُفصِحُ القولَ والأَفواهُ في حَصَرِ
ويلتقي الوَفْدَ بالتَرْحابِ مُبتَسِماً كأَنهم وَفَدُوا بالخَيْلِ والبِدَرِ
يا صاحبي زُرْ تَرَى موسى الكريمِ وقل يا أَكرَمَ التُربِ هذا اكرمُ البَشَرِ
أَظماكَ حَرُّ دُمُوعٍ قد سُقِيتَ بها حتى سقَتْكَ الغَوادي باردَ المَطَرِ
هل كانَ قَبلَكَ من رَمْسٍ برابيةٍ أَضحى ضَرِيحاً فأَمسى مَنزِلَ القَمَرِ
أَتاكَ تابوتُ مُوسَى في مَحافِلهِ يَسعى كتابوتِ عَهْدِ اللهِ فاعتَبِرِ

مَن كانَ يعلو سُروجَ الخيلِ مُذهبةً قد زارَكَ اليومَ بالأَلواحِ والدُسُرِ
وباتَ فيكَ فريداً مَن مجالسُهُ كانَتْ تَضيقُ عنِ الأَخلاطِ والزُمَرِ
مَن كانَ أَقربَ أَهلِ الأَرضِ منفعةً وكانَ أَبعدَ اهلِ الارضِ عن ضَرَرِ
وأَوسعَ الناسِ صدراً في مضايقهِ وأَجملَ الناسِ صبراً ساعةَ الضجَرِ
القائلُ الحقَّ في سرٍّ وفي علَنٍ والفاعلُ الخيرَ في صفوٍ وفي كَدَرِ
والمُستزيدُ بجودِ اللهِ خشيتَهُ فكُلَّما ازدادَ أَمناً زادَ في الحَذَرِ
وكُلَّما ازدادَ مالاً زادَ مكرُمةً كالدَوحِ ما ازدادَ غُصناً زادَ في الثمَرِ
وكُلَّما ازدادَ من مجدٍ ومن شرفٍ زادتْ وَداعتُهُ في القَدْرِ والقَدَرِ
قد خُطَّ في قلبهِ ما كانَ منتقشاً في كفِّ موسى على لَوْحٍ من الحجَرِ
مشى على سَنَنِ الخيراتِ من صغَرٍ حتى استمرَّ فكانتْ عادةَ الكبَرِ
ما ذمَّ قطُّ ولا ذُمَّتْ خلائقُهُ يوماً فماتَ حميدَ العينِ والأَثَرِ
كانتْ لنا عبرةً آدابُ سيرتهِ واليومَ ما زالَ في الدُنيا من العبَرِ
رُكنٌ تهدَّمَ في بيروتَ فاندفعتْ أهوالُ صعقتهِ في المُدْنِ والجُزُرِ
لئن رَثيناهُ عن خُبْرٍ بموضعهِ فكم رَثاهُ بعيدُ الدارِ عن خبَرِ
هوى الى التُرْبِ من أَبراجِ عزَّتهِ واعتاضَ بالكفَنِ البالي عن الحبَرِ
قد كانَ يَقري المَلاَ من مالهِ فغدا يَقري هوامَ البِلى من جسمهِ النضِرِ
هذا الذي تَعِدُ الأُمُّ البنينَ بهِ مُنذُ الولادةِ قبلَ الرَهْزِ في السُرُرِ
نعيشُ للموتِ اذ كانتْ ولادتُنا للموتِ فالعيشُ في أَيَّامِنا الأُخَرِ

لا يَترُكُ البَينُ عَيناً غيرَ باكيةٍ ... وليسَ يَترُكُ قلباً غيرَ منكسرِ
اذا وَرَدْنا حِياضَ العَيْشِ صافيةً ... فأَقصرُ الوَقتِ بينَ الوِرْدِ والصدَرِ

وقال في رسالةٍ كتب بها الى بعض اصحابهِ الرؤساء مشيراً بها الى اغراضٍ

خَلَتِ الدِيارُ كأَنَّها لم تُؤْهَلِ ... ومَضَى النَزيلُ كأَنَّهُ لم يَنزِلِ
والمَرْءُ في دُنياهُ يعرِفُ حاصلاً ... فاذا مَضَى فكأَنهُ لم يَحصُلِ
إِنَّ الذي مَلَأَ العُيونَ بأُنسهِ ... مَلَأَ القُلوبَ كأَنهُ لم يرحَلِ
في كُلِّ نادٍ منهُ ذِكرٌ يجتَلَى ... ولِكُلِّ عَينٍ منهُ شَخصٌ ينجلي
يا نازلاً في الارضِ اكرَمَ بُقعةٍ ... إِنَّ النَزيلَ يَكونُ حَسْبَ المَنزِلِ
لم تَلقَ أَهلاً للإِقامةِ عِندَنا ... فأَقَمْتَ في القُدسِ الشريفِ بمَعزِلِ
لَمَّا وَفَدْتَ على الدِيارِ تَعجَّبَت ... من بعثِ بُولُسَ قبلَ يومِ المَحفَلِ
أَنتَ الخَليقُ بأَنْ يزُورَكَ ماشياً ... مَن زارَ آثارَ الزمانِ الأَوَّلِ
تَشْتاقُ طَلعتَكَ المَنابرُ كُلُّها ... ويرِفُّ من طَرَبٍ جَناحُ الهيكَلِ
وتَعافُ أَرواحَ الكِباءِ وفَوقَها ... لَكَ طيبُ أَنفاسٍ كعَرْفِ المَنْدَلِ
تُهدي لِصِهيُونَ الهَناءَ كحُسَّدٍ ... والثَغرِ بيروتَ العَزاءَ كعُذَّلِ
ظَمَأٌ تأَجَّجَ في الرِكابِ فعندَما ... وَرَدَتْ أَتاها الرِيُّ قبلَ المَنهَلِ
قَصُرَتْ لَيالينا فكُنتَ بِدارِنا ... كمُسافرٍ لكنَّهُ لم يَعجَلِ

وَالوَردُ ليسَ يطُولُ عهدُ لِقآئهِ — والبدرُ ليسَ بِثابتٍ في منزِلِ
والدهرُ بينَ الناسِ ليسَ بعادلٍ — والناسُ بينَ الدهرِ ليسَ بأَعدَلِ
فانزِعْ الى دارِ السلامةِ في النقَا — واذا مرَرتَ على الخُصَيبِ فهرْوِلِ
واذا أَتَيتَ القومَ فاربضْ جانبًا — واذا استطَعتَ العيشَ وَحدَكَ فافعَلِ

وقال يمدح ملكة الدولة الانكليزية وقد طلب ذلك منه صديق له من كبرآء دولتها

إِنْ قُلتَ وَيحْكَ فافعلْ أَيُّها الرجُلُ — لا يَصدُقُ القولُ حتَّى يَشهَدَ العَمَلُ
تقولُ أَسلُو الهوَى والعينُ دامية — وأَترُكُ الشوقَ والأَنفاسُ تَشتَعِلُ
ما زِلتَ تهوَى الطُلَى حتى أَقامَ على — فودَيكَ من لونِها ما ليسَ يرتحِلُ
اذا كَساكَ بَياضُ الشَيبِ رائعةً — تَضاحكَتْ من هَواكَ الأَعيُنُ النُجُلُ
هيهاتِ ليسَ لأَيامِ الصِبا عِوَضٌ — حَتَّى يَكُونَ لهُ من نفسِهِ بَدَلُ
هيَ الحَياةُ التي أَبقَت لنا طرَفًا — كالدارِ يبقَى لنا من بعدِها طَلَلُ
لِكُلِّ كاسٍ شرابٌ يُستَحَبُّ لها — وكلُّ عصرٍ لهُ من أَهلِهِ دُوَلُ
أَليومَ قامَتْ فَتاةُ المُلكِ بارزةً — وقامَ من قبلِها أَسلافُها الأُوَلُ
فَرْعُ الأُصولِ التي مرَّت وبَهجتُها — إِنَّ الثمارَ مِنَ الأَغصانِ تُبتَذَلُ
يُستَحسَنُ المُلكُ فيها والخُضوعُ لها — وليسَ يَحسُنُ فيها الجُبنُ والبَخَلُ
باهَى الرِجالُ نِساءَ الدهرِ وافتخروا — حتَّى أَتَتْ فأَصابَ المُدَّعي الخَجَلُ

إِذا صَفا لَكَ نورُ الشمْسِ في فَلَكٍ ... فما الذي تَفرُقُ الجَوْزاءُ والحَمَلُ
بَقيَّةٌ من مُلوكِ الدهرِ قد ذُخِرَت ... وأَفضلُ الشيءِ ما يُخبَى فيعتَزِلُ
في قلبِها خاتمُ التقوَى وفي يدِها ... من خاتَمِ المُلكِ ما يجرِي بهِ المَثَلُ
تُدبِّرُ الأَمرَ في أَقطارِ مملكةٍ ... كأَنَّ أَطرافَها القُصوَى لها حِلَلُ
في كلِّ نَجْدٍ لها غَوْرٌ تُمهِّدُهُ ... وكلُّ سَهلٍ بهِ من خوفِها جَبَلُ
قد أَدَّبَت كُلَّ نفسٍ في جوانبِها ... حتَّى تأَدَّبَ فيها الصقرُ والوَعِلُ
تَلوِي الرِياحُ مثاني الرَملِ عاصفةً ... حتى تُصيبَ أَراضِيها فتعتَدِلُ
قدِ ٱلْتقَى الدِينُ والدُنيا بِساحَتِها ... كما ٱلْتقَى الكُحْلُ في الأَجفانِ والكَحَلُ
في ظِلِّها لِلوَرَى من كلِّ طارقةٍ ... أَمنٌ وفي قلبِها من ربِّها وَجَلُ
اذا ٱنثنَى صَوْلَجانُ المُلكِ في يَدِها ... تحطَّمَتْ منهُ بِيضُ الهِندِ والأَسَلُ
قِسِيُّ بأَهدافِها الرامي ولو رَشَقَتْ ... بأَسْهُمِ الشُهْبِ عن قوسِ الهَوَى ثُعَلُ
لها منَ الرأْيِ جيشٌ تحتَ رايتِهِ ... جيشٌ بهِ تأْمرُ الدُنيا فتمتَثِلُ
يَظَلُّ في البحرِ من إِطباقِهِ لُجَجٌ ... تعلو وفي البَرِّ من إِخفاقِهِ زَجَلُ
اذا سَقَى القومَ كأْساً من وقائعِهِ ... كفاهمُ النَهْلُ أَن يُستأْنفَ العَلَلُ
افدِي التي لَبِسَت من مجدِ دَولتِها ... تاجاً فهانَ عليها الحَلْيُ والحُلَلُ
صانَ القَريضَ عن الدَعوَى تفرُّدُها ... بينَ الكرائمِ حتى ليسَ يُنتَحلُ
قدهاجَ الَّا عليها الخُلفُ غارقةً ... فيهِ المُلوكُ ولم يَلحَقْ بها بَلَلُ
كالشمسِ بينَ بُدورٍ لا يُلِمُّ بها ... نقصُ البدورِ ولا يغتالُها الطَفَلُ

قريرةُ العينِ ترعى المُلكَ ساهرةً ... على العبادِ فنامتْ حولها المُقَلُ
لمُشكلِ الرأيِ في أجفانِها قمرٌ ... يدنو ولو أنَّهُ في بُعدِهِ زُحَلُ
يا مَنْ دعاني الى صوغِ الثناءِ لها ... من صيتِها قد دعتني قبلكَ الرُسُلُ
لا يمنعُ البُعدُ جدواها وشهرتَها ... إنَّ الدراري الينا ضوءُها يَصِلُ

وقال يمدح الشيخ يوسف الاسير القاضي يومئذٍ في ديوان
جبل لبنان سنة ١٢٦٨

أقولُ لعطفِها عندَ النُهوضِ ... أيا ويلَ الصحيحِ منَ المَريضِ
خَصيفةُ موقعِ الخطَواتِ تمشي ... كما قَطَّعتَ أبياتَ العَرُوضِ
أطالَ بَلاءَنا شَعرٌ طويلٌ ... تُقلِّبُهُ على ردفٍ عَريضِ
ثوَتْ بالرُبوتينِ لهُ خيامٌ ... فوارتْ ما هُناكَ من الحَضيضِ
مُمنَّعةٌ رأتْ وَجْدي فهامتْ ... كما حملَ النقيضُ على النقيضِ
دَعاها الشوقُ فانتبهت اليهِ ... كما انتبهَ الأسيرُ الى القريضِ
أسيرُ الحقِّ في حكمٍ تساوى ... فما يُدرَى الحبيبُ منَ البغيضِ
يُقلِّبُ في المَسائلِ كُلَّ طَرْفٍ ... ويلقى الناسَ بالطَرْفِ الغضيضِ
كفتْهُ منَ الزمانِ سُطورُ صُحْفٍ ... فتلكَ الدهرُ من سُودٍ وبيضِ
يقومُ من الصَلاةِ الى المثاني ... ومن سُنَنِ الكتابِ الى الفُروضِ
إمامُ الشِعرِ يبتدِعُ القوافي ... ويأمنُ دونَها حولَ الجريضِ

وينتجُ في المعاني كلُّ بِكرٍ   منَ اللاءِ يئسْنَ من المحيضِ
أصارَ ليوسُفٍ بيروتَ مِصراً   تَدَفَّقُ نيلِ عِلمٍ مستفيضِ
رَوَى فروَى الصدَى وجلاَ فجلَّى   لنا ما في المشاكلِ من غُموضِ
اديبٌ كاملٌ شَهْمٌ لديهِ   تلينُ عريكةُ الخَطْبِ القضيضِ
يَقِلُّ لهُ الثنـآءُ ولو أخذْنا   قوافيهُ عنِ الروضِ الأريضِ
ولستُ بمَنْ يهيضُ الحقَّ لكنْ   تأخَّرْنا الى الزمَنِ المهيضِ
لَقيناهُ وقـد أمسى حُطاماً   وفازَ القومُ بالفَنَنِ الغَريضِ
نرُوحُ كما غدَونا في ظَمآءٍ   وتَخدَعُنا البوارِقُ بالوَميضِ
وأطيَبُ موردٍ كأسُ المَنايا   اذا احتاجَ العُقابُ الى البعوضِ

وقال يمدح الامير بشير احمد اللمعي حين تولى امارة النصارى
في جبل لبنان سنة ١٨٥٤

سلامُ اللهِ أيَّتُهـا القِبابُ   أمَضْرِبُكِ القُلوبُ أمِ الترابُ
وما لنزيلِ قومِكِ من نَصيبٍ   ترَى أيُصيبُ خيراً ام يُصابُ
وَقفتُ بجانب الوادي فحنَّت   لترديدي الحنينَ بهِ الركابُ
وخاطَبتُ الديارَ فلم تجبْني   وما كُلُّ الخِطابِ لهُ جوابُ
دِيارٌ لي بهـا قمَرٌ منيرٌ   توارَى والسَحابُ لهُ نِقابُ
لهُ شَفَةٌ لناظِرِها شَرابٌ   ولكن حظُّ وارِدِها السَرابُ

وطَرْفٌ فيهِ من قلبي سَوادٌ   وكَفٌّ من دمي فيها خِضابُ
شَكَوتُ لهُ العَذَابَ فصدَّ تِيهاً   وذاكَ الصدُّ كانَ هُوَ العَذابُ
اذا ما لم يُهِمَّكَ أمرُ شاكٍ   فلا الشَكوَى تُفيدُ ولا العِتابُ
أَتَى ما لا حَسِبتُ ورُبَّ أمرٍ   حَسِبتُ لهُ فما صَدَقَ الحِسابُ
ومارَستُ الأَنامَ فكم عَدُوٍّ   عليهِ من صَداقتهِ ثِيابُ
وكم من صاحبٍ قد جرَّ ما لا   يَجُرُّ من العِدَى ظُفُرٌ ونابُ
وكم رَجُلٍ دَعَوتُ فلم يُجِبْني   ويَدعُوني سِواهُ فلا يُجابُ
نَرَى بعضاً يَعيبُ صِفاتِ بعضٍ   وما من عائبٍ الاَّ يُعابُ
يَعِيبُونَ الأَميرَ بفَرْطِ جُودٍ   كما لو عِيبَ بالمَطَرِ السَحابُ
وكيفَ يَهابُ مِن بَذْلِ العَطايا   شُجاعٌ للمَنايا لا يَهابُ
سَجَايا المجدِ سِلْسِلَةٌ تَوالَتْ   كما انتَسَقَتْ مِنَ الرُمحِ الكِعابُ
عِمادٌ في بني قَيْسٍ تَسامَى   فذَلَّت من بني يَمَنَ الصِعابُ
ثَوَى مَتْنَ البِلادِ فكانَ رأساً   لهُ تَعنُو المَناكِبُ والرِقابُ
تَرَى في وَجهِهِ سِيماءَ مَجْدٍ   كعُنوانٍ يَبينُ بهِ الكِتابُ
تَعَرَّضَ غيرَ مُحتَجِبٍ ولكنْ   لهُ من فَرْطِ هَيبتِهِ حِجابُ
عليهِ لكُلِّ سُوءٍ كُلُّ بابٍ   وليسَ عليهِ للحَسَناتِ بابُ
تَقَلَّدَ بالوِلايةِ فهيَ سَيفٌ   بِراحةِ مَن يجودُ بهِ الضِرابُ
أَتى بأسمِ البَشيرِ لنَا بَشيراً   وفيهِ الى مسمّاهُ انتِسابُ

لَئِنْ عَبِثَت بهِ غُصَصُ اللَيالي فها قد جآءَها اليومَ الشرابُ
وإِنَّ الشمسَ يَحجبُها ضَبابٌ ولكنْ ليسَ يَكسِفُها الضَبابُ
قَدِ اُعتزَّت بدولتهِ جبالٌ عليها من مَكارمِهِ هِضابُ
تَبِيتُ بها الظِبا والأُسْدُ تَسعَى وتَرعَى الشآءُ فيها والذِئابُ
لهُ من رَهطِ نَجْدَتهِ لُيُوثٌ لها من شُرَّعِ المُرَّانِ غابُ
يَرُدُّ العارُ اوجُهَها حَيآءً وليسَ تَرُدُّ أَوجُهَها الحِرابُ
قِيامٌ يَنظُرُونَ الى عزيزٍ لناظِرِهِ اُبتهاجٌ واُضطِرابُ
حَوَى شَطرَينِ من شَرَفٍ فهذا لهُ إِرْثٌ وذاكَ لهُ اُكتِسابُ
رحيبُ الصدر في عُسرٍ ويُسرٍ تَضِيقُ بوَفدِهِ تلكَ الرِحابُ
لهم منــهُ الثَوابُ يُساقُ عَفْوًا نَعَمْ ولهُ منَ اللهِ الثَوابُ
فتًى يُرجَى الرِضَى والعفوُ منهُ ويُخشَى السُخطُ منهُ والعِقابُ
لهُ ــفي حُكمِهِ قولٌ سديدٌ وفي اُعمالِهِ رأيٌ صَوابُ
يَرَى حقَّ الصِحابِ عليهِ حتَّى يَرَى حقَّ القَضآءِ فلا صِحابُ
ويَنظُرُ حاسدِيهِ بعَينِ راضٍ لحِلمٍ أَرَّخوهُ وهُمْ غِضابُ
أَصابَ السبْقَ عن أَمَدٍ بعيدٍ تُقَصِّرُ دونَهُ الخيلُ العِرابُ
فقُلتُ لِمَنْ يُجاريهِ رُوَيدًا ستُدرِكُهُ اذا شابَ الغُرابُ

﴿ تقاريظ ﴾

قال الشيخ يوسف الاسير تقريظاً على هذا الديوان

هذا لَعَمْرُكَ ديوانٌ مُدَوِّنُهُ حكى البديع الذي باهت بهِ الشُعَرا
زَكَتْ معانيهِ في حسن البيان وما احراهُ مفتكرًا في الناس منتشرا
قد رقَّ طبعاً كما قد رقَّ ناظمهُ مع كونهِ ما لكاً للفضل مشتهرا
قد انصف الشعرَ ناصيفٌ فصار لهُ سِعرٌ وحُقَّ لهُ أَنْ عاد مفتخرا
ابكار افكارهِ زُفَّت لنا فزهَتْ بذي العُقود التي حَلَّتْ لنا الدُرَرا
أَبدَى القُوى في القوافي فهي ثابتةٌ مع انها سائِراتٌ تشبه القمرا
سُلافُ عصرٍ ولكن فيهِ قد رَكَدَتْ إِعصارُ ما كان في الأَسلاف مُعتبَرا

وقال الشيخ عبد الهادي نجا الابياري مفتي المنوفية
والغربية بالديار المصرية

بسم الله

حمدًا لمن خلق الانسان · وعَلَّمهُ البيان · وفتَقَ رَتْقَ لسانهِ برقائق المباني الموشحة بدقائق المعان · واستخرج من معادن أَلسِنة العرب إِبريز افصح اللغات · واجلى عرائس البلاغة لذوي الفصاحة فاماطوا براقع وجوهها السافرات · وصلاةً وسلاماً على نبيّ الأُمَّة · وكاشف الغُمَّة · القائل ان من البيان لسحرًا وان من الشعر لحكمة · وعلى سائر الانبياَء والمُرسَلين · وآل كل وصحابتهِ اجمعين · وبعدُ فيقول فقير

رحمة ربهِ · واسير وصمة ذنبهِ · عبد الهادي نجا الابياري · عمَّهُ الله واخوانه بلطفهِ الساري · قد اطَّلعت على ديوان شعر شاعر القطر الشامي · الهمام الفاضل الشيخ نصيف اليازجي المتأرّج عرف قدرهِ السامي · فوجدتهُ جنَّة ادبٍ عالية · قطوفها دانية · قد اينعت فيهِ غصون البلاغة واثمرت · وتلألأت فيهِ نجوم البراعة وازهرت · فقلت مطرزًا حلتهُ السندُسيَّة · مقرّظًا بهجتهُ السنيَّة

هكذا تُنسَق اللآلي وتُنضَدْ ... هكذا تُجمَعُ المعاني وتُحشَدْ
هكذا هكذا الكلام كلامٌ ... صِيغَ دُرًّا بفِكرةٍ تتوقدْ
صدَّ اهلَ اللسان حسن اختراعٍ ... منهُ عن مثلهِ فاصبح مفْرَدْ
وتراءَى لهم سنى برقِ مبناهُ ... فخرُّوا لحسن معناهُ سجَّدْ
كلُّ بيتٍ فيهِ لكلِّ خطيبٍ ... مُفلِقٍ سجدةٌ متى ظلَّ يُنشَدْ
انَّ هذا هو البيان الذي اعجزم ... كلاًّ عن البيانِ واقعدْ
غَزَلٌ في حماسةٍ وبديعٌ ... في بيانٍ للهِ دَرُّ مَنَ انشدْ
هو قاضي البلاغة الفاضل الند ... بُ الذي ظلَّ في المعارف اوحدْ
عَضُدُ الفضل والعصامُ الذي استمـ ... سك شخصُ العلا بهِ وتعضَّدْ
مَلِكُ القولِ من يَقِسْهُ بقُسٍّ ... فهوَ لا شكَّ في القياسِ مفنَّدْ
بنصيفٍ قد انصف الدهر بيرو ... تَ فاضحت تتيه في ثوب سودَدْ
ولئِن اصبحت تفاخر كلَّ الـ ... مدن اضحى لعمريَ الحال يشهدْ
ما سمعنا بمثلهِ عيسويًّا ... يتحدَّى بمثل مُعجِزِ احمدْ

نظمَ الدرِّ والدراريَ في احـ   سن سمطٍ من البيان ومهدْ
المعيُّ لكنهُ عيسويٌّ   كان اولى بفضل دين محمدْ
لو تروَّى ارتوى بكوثرهِ العذ   ب واروى اظمآءَ من بات يجحدْ
جلَّ من قسَّم الحظوظ فلا عتـ   بَ وان كان العقل في الامر معهدْ
حكمُ مولى يقضي علينا بما شآ   ءَ تعالى عن التولُّد سرمدْ
دُمْ حليف العلى نصيف بفضلٍ   لا يُوازَى وحسن حمدٍ مؤبدْ

وقال عبد الباقي افندي العمري

باسمك اللهمَّ يا مَن بفضلهِ وُفِّقتُ فوقفتُ على النُبذة التي

بها ناصيفُ عيلمُ كل فضل   تطوَّلَ فاستطالَ على الجميعِ

والفِلذة التي

دَعَتْ افلاذَ اكباد المعاني   مفتّتةً بايدٍ من ولوعِ

والخوذة التي

كست هامَ الافاضل تاج عزّ   ومِغفرَ قمَّة الشرف الرفيعِ

والعوذة التي

بها عاذت قرائحِنا ولاذت   فاغنتها عن الحرز المنيعِ

واللذة التي

وجدنا في مذاق الحب منها   حلاوة شهد وصلٍ من قطُوعِ

والجذوة التي

بهـا قدحت زنادُ الفكر منهُ ... نخفت من الشرار على ضلوعي

والجلوة التي

اتت مطبوعةً لفظـاً ومعنى ... على الإحسان والحسن البديعِ

فقرّظتها بهذا التقريظ

على نبذةٍ من شعر ناصيف ذي الفضلِ ... وقفتُ ومني العين في موضعِ الرجلِ
وطأطأت اجلالاً لها راس شامخٍ ... لاخمصه هامُ العُلى موطئُ النعلِ
فرُحتُ لدى الامعان فيها كانني ... وعقلي عني ذاهلٌ من بني ذُهلِ
وشمتُ سنى فجر المعاني يلوح من ... خلال المباني وهي ليليّة الشكلِ
محا ظلّ وهمي حين اشرق نورها ... وكم قد محت شمس الظَهيرة من ظلِّ
على الحُسن والاحسان مطبوعةً اتت ... فوافقت الطبع السليم من الغلِ
وقد رفرفت بالخافقين صحافها ... وحطّت من المجد الاثيل على أَثْلِ
واوراقها في الكرخ ورقاؤُها شدت ... فميّل اعطافَ الرصافة ما تملي
وبثت من السحر الحلال ببابلٍ ... لها نفثاتٍ اوهنت عُقَدَ الحلّي
وقد ملأَت اقداح احداقنا طلاً ... من السحر تمشي في العقول على مهلِ
فتُسكرُ الباباً بنقل حديثهـا ... وشاربُ صرف الراح يحتاج للنقلِ
وكم دندنت من حول كورة مسمعي ... لتبليغ ما اوحاهُ ربي الى النحلِ
وذقتُ بثغر الفكر شهد مجاجها ... فساغ شراباً في لهاةِ فم العقلِ
قصائد تحكي في الطروس خرائداً ... وقد نزلت من سفح لبنان في السهلِ

تهادى بجلبابٍ من الفضل كم لهُ فواضل اكمام ترشّح بالدلّ
وتعطو كما تعطو المهاة بجيدها وترنو كما ترنو باعينها النجلِ
مرايا عقولٍ للمصوّر زئبقٌ على سطحها ينساب من جودة الصقلِ
قد اكتحلت منها العيون بنظرةٍ فسحقاً لما في اعينُ العِين من كحلِ
نرى في سواها الناظرين باعينٍ غشاها الغشى كالعا كفين على العجلِ
هيا كلُ عرفانٍ معاقلُ حكمةٍ خمائلُ احسانٍ مناهلُ للفضلِ
اقلّتْ دُمىً طالت على شُرُفاتها نمت كرماً بلّتْ صدًى ايمّا بلّ
معادنُ اجلالٍ معاطنُ سوددٍ مكامنُ افضالٍ مواطنُ للبذلِ
وعت كل اعظامٍ حوت جلّ مفخرٍ زكت مغرس الجدوى طوت شقّة البخلِ
فما شئتَ من ضخم الكراديس من على وما رمت من جزلٍ وما اخترت من عبلِ
وما اشتقت من غيد المعاني رشيقةً تغصّ لها ساقٌ من اللفظ في حجلِ
تفوّقُ منها العينُ عن قوس حاجبٍ نبالاً اراشتها النبالةُ بالنُبلِ
مخلخلةٌ من اسطرٍ بخلاخلٍ تكادُ على القرطاس ترسف في كبلِ
تقلّ على بيض الترايب صحفها ذوائب من زحف السطور ومن جثلِ
تدلّ على طيب الفروع اصولهـا واصل زكآء الفرع من كرم الاصلِ
لقد فتّحتْ اكمام اسماعنا لها كما فتّحتْ زهرَ الرُّبى انملُ الطلّ
وجادت بوبلٍ بعد طلٍّ ربابها فاحيت موات الفكر بالطل والوبلِ
سماوات علمٍ في ظبىً من أَهلّةٍ تشقّ شعار الجهل معطًا الى الذيلِ
حياضُ رياضٍ في غياضٍ تدفقت بما رقّ من نهلٍ وما راق من علّ

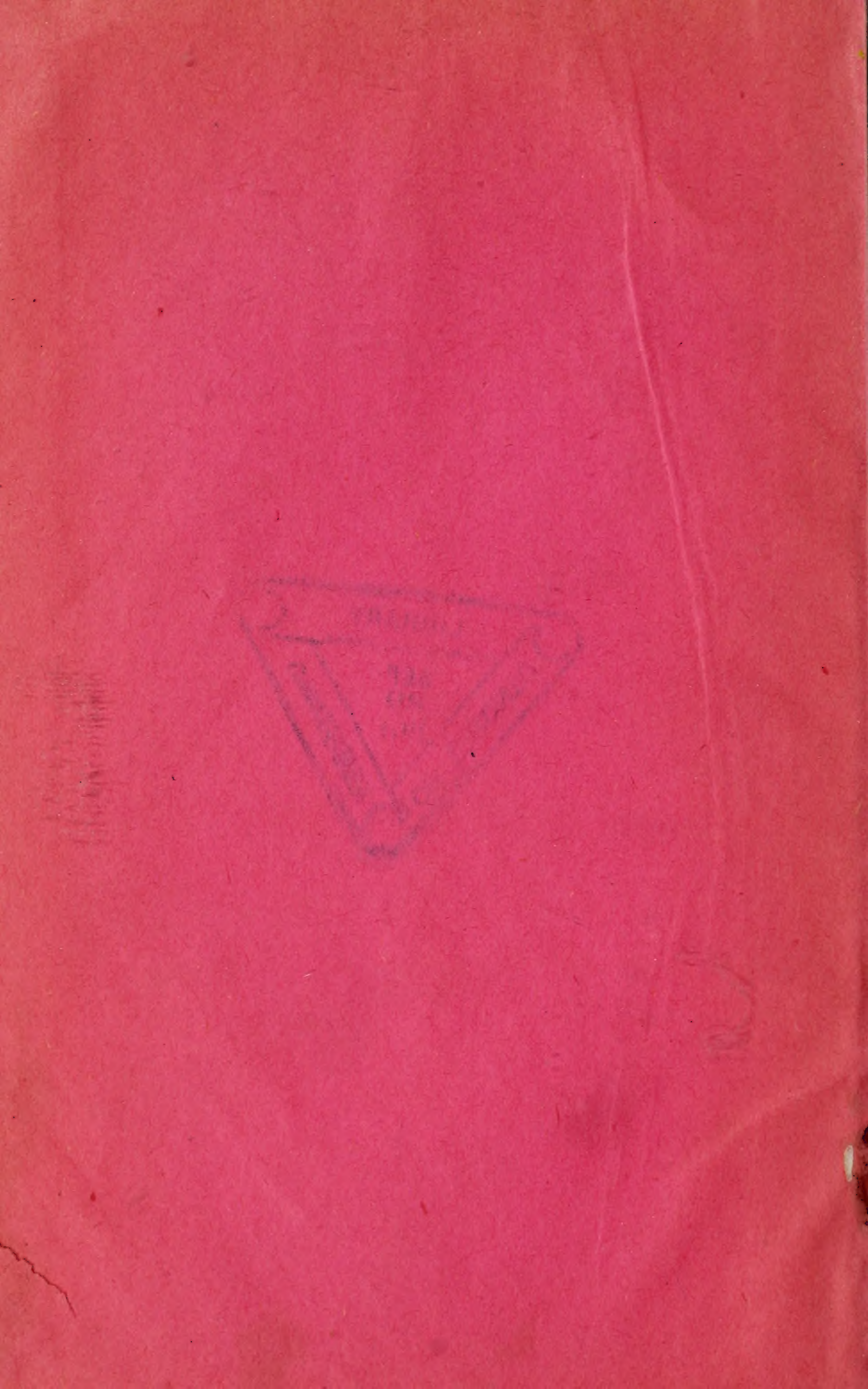
بصرصرة البازي اهاجت بلابلي وهمهمة الضاري وشقشقة الفحلِ
اذا انكرت دعواهُ في الشعر فتيةٌ اقام عليها شاهد العقل والنقلِ
وان رام شعري ان يبارز شعرهُ يقول شعوري انني عنكَ في شغلِ
مساحة قطر الشام من مثلهِ خلت فدلت على توحيد من جلَّ عن مثلِ
وكم بكر فكرٍ منهُ عذراءَ انجبتْ بنسلٍ وما قد مسَّها قطُّ من بعلِ
تحدَّى بما لو صحَّ لابن كرامةٍ تصدَّى لدعواهُ بمعجزة الرسلِ
ارى الجزءَ منهُ ناب عن كلّ غيرهِ فيا من رأى جزءًا ينوب عن الكلِّ
صحائفهُ تحكي الصفاح حروفها تكاد بلا رجلٍ تدبُّ على النصلِ
رحى الفكر من هذي الحواريّ نقحت دقيق معانيهِ فما احتاج للنخلِ
واقلامهُ لاقت محابرهُ التي لادهمها لاقت مطاردة الخيلِ
جرى نهر طالوت الندى من مدادها فاربى على النِيل المبارك بالنَيلِ
فاجريت ذا النون اليراع بمدحهِ فما انفكَّ حتى منهُ اصبح ذا كِفلِ
عسى مجمع البحرين بيروت لا نأت تكونُ قريباً لي بهِ مجمع الشملِ
لاحظى ببحرٍ زاخرٍ بفضائلٍ وغيثٍ بهتّان الفواضل منهلِّ



اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطأ	صوابهُ
ا	١	الشيح	الشيخ
ج	١٨	وفي هي شعرهِ	وهي في شعرهِ
١٠	٨	لا اقول	ولا اقول
٣٣	١٢	كأس ردي	كأس ورْدي
٣٧	١٧	وهو يدَّعيهِ	وَهوَ لا يدَّعيهِ






LIBRARY
SEP
20
19
UNIVERSITY
OF TORONTO


3 1761 05972934 3